النظم الاجتماعية في فلسفة اخوان الصفا

د حمزة جابر سلطان الاسدي . العراق

تمهيد:

تعد دراسة النظم الاجتماعية من المستلزمات الاساسية لفهم المجتمع لأنها تمثل الحجر الاساس في تركيبه وبنائه فأنها توجد في كل المجتمعات سواء كانت المجتمعات متطورة او متخلفة ريفية او حضرية وذلك لأهمية الدور الذي تقوم به من اجل سد حاجات الإنسان المتعددة والعمل على تنظيم سلوكه، وتحديد العلاقات الاجتماعية في جوانب الحياة المختلفة وبطرق منظمة، كما تسعى الى ربط البناء الاجتماعي داخل المجتمع، فوجودها يعد ضرورة لتنظيم الحياة الاجتماعية واشباع الحاجات الانسانية العامة، وقد طرح بعض علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية عدداً من المصطلحات عند الحديث عن النظم الاجتماعية والتي تشير الى نفس المغزى مثل: المؤسسات الاجتماعية – النسق الاجتماعي ، وبذلك عرفت هذه النظم بأنها التركيب الاجتماعي والآلة التي من خلالها ينتظم المجتمع الانساني كما يوجه وينقذ اوجه النشاطات المتعددة المطلوبة لا شباع الحاجات الانسانية [1] وتعددت هذه النظم تبعا لتعدد الحاجات الانسانية، حيث أخذ كل نظام مسؤول عن سد حاجة انسانية معينة، مع وجود ترابط وتكامل فيما بينهما .

وعند دراسة المجتمع لابد ان ينظر اليه على انه جهاز من الانظمة المتكاملة الوظائف مترابطة العناصر والاجزاء، وهذا ما اطلق عليه في علم الاجتماع بالاتساق الاجتماعي ( ) social consensus مثل الاجهزة العضوية التي يتكون منها الفرد، كالجهاز الدوران والجهاز الهضمي والجهاز العصبي والجهاز العضلي،

(1) ماكيفر , ر . م , شارلز بيج , المجتمع , ج 1 , ترجمة د . علي احمد عيسى , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1974 ,ص 35.

فهناك نظم اجتماعية تنظم الحياة مثل الاسرية والاقتصادية والتربوية والسياسية والتي تعمل بصورة متبادلة من اجل استمرار المجتمع الانساني في الوجود .

المبحث الاول : النظام الاسري :

اهتم المفكّرون والعلماء منذ أقدم العصور بدراسة الاسرة وذلك لمعرفة طبيعة بنائها ووظائفها والمشاكل التي تواجهها، لأنها تمثل النواة الاولى لتكوين المجتمع، فلا توجد جماعة بشرية في العالم تخلو من نظام اسري، فهو المسؤول عن تنظيم العلاقات الجنسية، والزواج والتكاثر وتربية الاطفال، ولو ان هؤلاء المفكرين لم يدرسوا شؤون الاسرة لذاتها بصورة مستقلة، وانما درسوها اثناء دراستهم لشؤون الدولة والمجتمع، اذ تناولها افلاطون في جمهوريته، وارسطو في كتاب السياسة، ولكن الاخير كان اكثر تعمقا في دراسته لشؤون الاسرة، حيث ذهب الى ان الاسرة هي اول اجتماع تدعو اليه الطبيعة : اذ قال(أن إذ من الضروري أن يجتمع كائنان لا غنى لأحدهما عن الأخر، أي اجتماع الجنسين للتناسل، وليس في هذا الشيء من التحكم، ففي الإنسان كما في الحيوانات الأخرى والنباتات توجد نزعة طبيعية وهي أن يخلق الكائن الحي بعده موجودا على صورته) [1]

وذلك ان الاسرة هي الوسط الصحيح الذي تحقق فيه الحياة الاجتماعية كل وظائفها، وتلبية الحاجات اليومية للأفراد ، وهذه الاسرة مع الاسر الاخرى تشكل القرية ومن هذه القرية والقرى المجاورة تتكون المدينة، ثم تتكون الدولة .وبهذا تكون الاسرة اللبنة الاولى في تكوين المجتمع الانساني، وتتكون الاسرة حسب رأي ارسطو من الزوج والزوجة والبنين والعبيد، وان الرجل هو رب الاسرة، اما المرأة فهي اقل عقلا منه، ولا يجب ان تتدخل في شؤون السياسة والجندية، وانما عليها تربية الاولاد [2]

([1]) ارسطو , السياسة , ترجمة احمد لطفي السيد , دار الكتب المصرية , القاهرة , 1947 , ص 99.

(2) انظر .ارسطو , السياسة , ص99.

وهذا الامر غير صحيح اذ ان المرآة ليس اقل عقلا من الرجل، اذ لا يوجد اختلاف بينهما من هذه الناحية، و اثبتت جدارتها في مجالات مختلفة من الحياة .

اما بالنسبة الى اخوان الصفا، فقد تعرضوا الى الاسرة في رسائلهم، حين نظروا اليها على انها اساس تكوين الجماعات الإنسانية، فهي تمثل النواة الاولى لها، اذ ذكروا بأن أبانا آدم ابا البشر وزوجته حواء خلقا من طين ثم توالدا (اسرة) وتناسل اولادهما، وامتلأت الارض منهم سهلا وجبلا، وبرا وبحرا، ثم بنوا في السهول الارض الحصون والقرى والمدن وسكنوها [1]، فكانت زيادة الافراد عن طريق الاسرة من خلال الزواج، الذي كان اول رابطة حدثت بين آدم وحواء، وسمي هذا الزواج في مصطلح علم الاجتماع (الزواج الاحادي) الذي ذكره كلا من هربرت سبنسر، واميل دوركهايم بأنه يمثل نهاية مطاف التطور الزواجي[2]، ونتيجة هذا النظام الاجتماعي حدث الانجاب وازداد عدد الافراد الذين شكلوا المجتمعات الانسانية وبذلك يكون الانجاب من الوظائف الاساسية للأسرة التي تطرق اليها اخوان الصفا وجميع علماء الاجتماع الذين درسوا الاسرة، على انها تسد المجتمع بأعضاء جدد متطبعين اجتماعيا من أجل استمرار المجتمع في الوجود، وهذا ما ورد عند اخوان الصفا بأنه لما كثرت اولاد أدم تم تعليمهم وتأديبهم وتهذيبهم، وعلمهم كيفية الحرث والزرع وازدواج الذكور والاناث وعمروا العالم[3]، وهنا تقوم الاسرة بوظيفة اجتماعية اخرى هي التنشئة الاجتماعية[*]

---

(1) انظر : رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا, تحقيق بطرس البستاني , دار صادر بيروت 1957 , ج 2 , ص 181 – 182 , 203 , 322 , الرسائل ج 3 , ص 183.

(2) الخشاب , د. مصطفى , الاجتماع العائلي , دار القومية للطباعة والنشر , مصر , 1966 , ص 112.

(3) الرسائل , ج 3 , ص 113.

(*)التنشئة الاجتماعية : عملية اجتماعية نفسية تتقوم بها نفسية الفرد وتتطور بالتعليم في العائلة وخارجها وبوسائل الضبط الاجتماعي , كي يتوائم الفرد مع حضارته , ويصبح قادرا على العيش في مجتمعه , وعلى تطبيق نظمه , والتفاعل مع افراده , وتتضمن عملية التنشئة غرس قيم الجماعة ومثلها , واهدافها في نفس الفرد

لأنها النظام الاجتماعي الذي يعمل على تعليم الطفل ما يجب عمله اذا اراد ان يندمج في المجتمع، ويطوّر نفسه ويجد اشباعا واستقرارا مثمرا لحياته وذلك بتنسيق سلوكه مع الاخرين متعاونا معهم ومتكيفا لهم[1]، فقد اعتبر اخوان الصفا تنشئة الافراد من القضايا الاساسية في حياة الدولة والمجتمع، فتناولوها منذ تكوينه في الرحم، ثم وهو طفل رضيع حتى بلوغه مرحلة الرشد، وحيث اكدوا على اختيار الزوجة الصالحة والمطيعة والمرضعة المؤمنة وطلبوا منها الاعتناء بصحتها والاهتمام بتغذية نفسها اثناء الحمل وبعد الرضاعة[2]،

ومن خلال ذلك نرى ان اخوان الصفا كانت اراءهم صائبة في هذا الجانب والتي اكدت عليه الدراسات العلمية الطبية بأهمية الاعتناء بصحة الام اثناء الحمل وبعد الوضع من اجل تغذية الطفل بغذاء قوي بالبروتينات لكي ينعكس على صحة الطفل ايضا، اذ اكدت تلك الدراسات العلمية الحديثة على اهمية تكامل غذاء المرأة الحامل، وان نقصه، وعدم توازن عناصره الاساسية وسوء تغذية الام خلال فترة الحمل، له أثر سلبي على عملية نمو الجنيين في الرحم وبالتالي على متانة ودقة تكوين ووظائف الجهاز العصبي للجنيين، ويؤثر هذا على نمو القدرات العقلية والعاطفية والحسية للطفل فيما بعد [3]،

كما اكد اخوان الصفا على السنوات الاولى من حياة الطفل، وهي سني التربية والتي من خلالها يدرك الطفل الامور المحسوسة، وما ان يصل الى نهايتها حتى يكون قد اكتسب القدرة على التمييز والفهم ويكتسب الاخلاق والآداب

. وتستغرق عملية التنشئة عمر الفرد كله , اذ من ولادته وتستمر طيلة حياته . (مير , لوسي , مقدمة في علم الانثربولوجيا الاجتماعية , ترجمة شاكر مصطفى سليم , دار الحرية للطباعة , بغداد , 1983 , ص 418.

(1) العاني .د. عبد اللطيف عبد الحميد , واخرون , المدخل الى علم الاجتماع , مطابع التعليم العالي , بغداد , 1990 , ص 210 .

(2) انظر : الرسائل , ج2 , ص 180 , 321 , ج 3 , ص 15-16 , 32 , ج 4 , 260 .

(3) العظماوي . د. ابراهيم كاظم . معالم من سايكولوجية الطفولة والفتوة والشباب , دار الشؤون الثقافية العامة بغداد , 1988 , ص 296.

والافعال التي توافق طبيعته واستعداداته [1]، ومن الملاحظ ان الدراسات الحديثة في علم النفس الاجتماعي اكدت ايضا على اهمية الخبرات والتجارب التعليمية المكتسبة في هذه المرحلة في بناء الشخصية الاجتماعية، لان الفرد يكون فيها سهل التأثر والتشكل، شديد القابلية للإيحاء والتعلم، قليل الخبرة، عاجزا ضعيف الارادة قليل الحيلة، وفي حاجة دائمة الى من يعوله ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة [2]، ولذلك يقع على عاتق الاسرة هذه الوظيفة الحيوية في بناء شخصية الانسان وتنمية مواهبه وقدراته المختلفة .

وهناك وظيفة اخرى لا تقل اهمية منة الاولى للأسرة اكد عليها اخوان الصفا، وهي وظيفة التعاون الاقتصادي الذي يعتمد على تقسيم العمل بين الزوجين ويجعل التعاون بينهما نافعا وفعالا يؤدي الى قوة الوحدة التعاونية الاسرية، فقد شبه اخوان الصفا المجتمع بالأسرة المتعاونة في امر معيشتها كل فرد فيها في وجه منها . فأنهم لاحظوا بأن وظائف المرأة وادوارها تكمل وظائف الرجل وادواره، فالمرأة شريكة الرجل وطائعة له وهي تحفظ اقواته وكسبه وتدبير شؤون المنزل الاقتصادية، وتسهر على شؤون العائلة كما انهم لا يمانعون في امكانية تولي المرأة لبعض مهام الرجل في حالة غيابه ويؤكدون ايضا على امكانيتها ببعض الاعمال في المجتمع كتولي مهام التربية [3]، وبهذا فأن فكر اخوان الصفا في ذلك اكثر رقيا وانفتاحا من فلاسفة اليونان، وبالذات من ارسطو، وهذا بفعل الاثر الاسلامي على فلسفة اخوان الصفا ، ومن بين المحاور التي تدخل في اطار النظام الاسري هو القرابة .

---

(1) الرسائل , ج 2 , ص 446 – 447.

(2) انظر : راجح , د . احمد عزت , اصول علم النفس , المكتب المصري الحديث , الاسكندرية , ط 9 , 1972 , ص 426.

(3) الرسائل , ج 1, ص 100.

القرابة [*]:

تمثل القرابة جزءا مهما من النظام الاسري، فلم يتطرق اليها اخوان الصفا الا بعبارات قصيرة على الرغم ما اهميته الكبرى في كل المجتمعات الانسانية، الا انها تختلف من مجتمع الى أخر، مع ذلك فأنها في اغلب المجتمعات تتألف من علاقة الدم [*]وعلاقة المصاهرة [*]، وهاتين العلاقتين يمثلا المحاور الاساسية لنظام الاسرة والزواج، فقد ذكر اخوان الصفا (الحمد الله الذي خلقنا من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا، وخلق منه زوجه وبث منهما رجالا ونساءا واكرم ذريتهما وحملهم في البحر والبر ورزقهم من الطيبات) [(1)]، فكان اخوان الصفا هنا متأثرين بالقرآن الكريم في قوله تعالى (**يأأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** [(2)]، وبهذا كانت نظرتهم منبثقة من النظرة الاسلامية لعملية الخلق ورابطتي المصاهرة والنسب التي تمتد خطوطها القرابية عن طريق الاب ويسمى هذا النسب (بالنسب الابوي) كما هو الحال في المجتمع العربي الذي بموجبه ينتقل الارث وتكتسب الحقوق وتنتقل السلطة عن طريق الاب، وانتقال الزوجة لتعيش مع اهل زوجها [(3)]،

(*)القرابة : هي العلاقة التي تقوم بصورة حقيقية او مفترضة على صلة الاب وصلة الاخوة بعضهم مع البعض الاخر , ويعترف بها لأغراض اجتماعية (انظر : كلاكهون , كلايد , الانسان في المرآة , ترجمة شاكر مصطفى سليم , مؤسسة فرانكلين , بغداد (ب – ت) , ص 264- 265.

(*)علاقة الدم : هي علاقة الاب بأبنه.

(*)علاقة المصاهرة : هي علاقة الزوج بزوجته.

(1) الرسائل , ج 2 , ص 279.

(2) القرآن الكريم , سورة النساء , آية / 1.

(3) انظر : كلاكهون , كلايد , الانسان في المرآة , ص 22.

اي يأخذ النسب من جانب الزوج لا الزوجة، فالأبناء يحملون اسم الاب بسبب سيادة السلطة الابوية والتي اطلق عليها اخوان الصفا، اسم السياسة الخاصة الجسمانية والتي تتبع ازاء الاهل من الاخوة والزوجة والأولاد [1]،

ويحتل الرجل مكانة مرموقة في فلسفة اخوان الصفا، فهو رب الاسرة وتقع عليه مسؤوليات تنظيم سياسة الاسرة وتأمين جميع حاجاتها، وقد جسدوا هذه الفكرة في نظرتهم الى النبي الله آدم باعتباره اول خليفه ستخلفه الله تعالى في ارضه، وما هو الا صورة الانسانية [2]، تلك الصورة الباقية منذ خلق الله تعالى آدم الى يوم القيامة وان كانت الاشخاص في الذهاب والمجيء[3]، وهذه الصورة الانسانية او خليفة الله في ارضه باقية في ذرية آدم كافة، لأن صورة آدم تحمل صورة كل من أتى من ولده ومن جاء بعده من نسله [4]، وهو ما يعزز استمرار النسب الابوي، لكن اخوان الصفا لم يعطوا اهمية بالغة للنسب الابوي القائم على علاقة الدم، وانما اكدوا على النسب الروحاني بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة التي كانت تعيشها الدولة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، والتي نتج عنها تفكك المجتمع الاسلامي، وظهور علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة بعيدة عن القيم والعادات الاجتماعية العربية السائدة في ذلك الوقت، مع انتشار العناصر الأجنبية داخل المجتمع بصورة عامة والاسرة بوجه خاص، حتى اصبحت الرابطة الروحية، المنبثقة من تعاليم الدين الاسلامي (انما المؤمنون اخوة) كما استشهدوا في الآية القرآنية الكريمة (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُون)[5]، وكذلك بقول النبي محمد (ص) للأمام علي (ع) (انا

---

(1) الرسائل , ج 4 , ص 258.

(2) الرسائل , ج 4 ص 376-378.

(3) الرسائل ,ج 3 ص 475.

(4) الرسائل ج 2 ص 343.

(5) القرآن الكريم , المؤمنون , اية 101 .

وانت يا علي ابوا هذه الامة) [1]، وقوله ايضا (يا بني هاشم لا يأتني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم فأني لا اغنى عنكم من الله شيئا)[2]، وقال ايضا (المؤمن اخو المؤمن من امه وابية) [3].

اما رابطة المصاهرة فقد اشار اليها اخوان الصفا من خلال نظرتهم الى مسألة التناسل والنتاج لبيقي النسل واستمرار المجتمعات الانسانية والتي ربطوها بالحكمة الالهية والعناية الربانية لوجود شهوة مركوزه في جبلة الذكر للاجتماع مع الاناث، وكذلك في طباع الاناث الاجتماع مع الذكور ليكون منهما التناسل والنتاج ليبقى النسل) [4]، وهذه علاقة مقدسة غايتها تكاثر الجنس والمحافظة على النفس وهدفها حماية افراد الاسرة والمجتمع من التفكك والانهيار، فهي علاقة محكمة تجمع بين الزوجين، زمن ثم تكوين علاقات اجتماعية بين افراد هذين الشخصين .

المبحث الثاني: النظام الاقتصادي

يقصد بالنظام الاقتصادي دراسة الجانب الشامل والواسع لجميع النشاطات والفعاليات البشرية لأجل استفلال مصدر الثورة الطبيعية وتنظيمها بشكل يتفق مع اشباع الحاجات الانسانية ثم تطمين هذه الحاجات، وهذه الحاجات منها حاجات بيولوجية لا يمكن الاستغناء عنها وذلك للمحافظة على الحياة واستمرارها وقسم منها حاجات اجتماعية تتعلق بعيش الناس في المجتمع كالحاجة الى المسكن والمأكل والملبس وغيرها من الحاجات الاخرى، وهذه الحاجات البايلوجية والاجتماعية تحددها وتتحكم في اشباعها جملة عوامل اجتماعية وحضارية[5]، والتي تختلف من مجتمع الى آخر، تبعا لتقدم المجتمع، كما عرف الانسان انواعا

---

(1) الرسائل .ج1 ص 213 , الرسائل .ج 4 ص 53 رسالة الجامعة . ص 113.

(2) الرسائل . ج4 .ص 53.

(3) المصدر نفسه .

(4) الرسائل , ج 3 ص 53.

(5) لانجة , اوسكار , الاقتصاد السياسي , القضايا العامة . تعريب وتقديم د . محمد سلمان حسن . القسم الاول , دار الطليعة , بيروت , ط 3 , 1978 , ص 45.

متعدِّدة من النظم الاقتصادية، منها ما يقوم على الصيد أكان في البحر ام في البر ومنها ما يقوم على الزراعة، وتربية الحيوانات والماشية، ومنها يقوم على النقل او التجارة او الصناعة [1]، وبذلك يكون النظام الاقتصادي متداخل ومتبادل التأثير مع غيره من النظم الاجتماعية الاخرى، فلا يمكن ان يعمل اي منهما بمعزل عن الاخرى، فهذه النظم تعمل في حالة مستمرة من التفاعل المتبادل ولكل نظام له وظيفة خاصة تعمل على تحقيقها، ففي النظام الاقتصادي لا يستطيع الافراد حسب رأي (koller) ان يشبعوا مطالبهم البايلوجية بأنفسهم، وذلك لابد وان تعاونوا مع بعضهم البعض من اجل الحصول على الطعام او الملبس والمأوى والحماية وبقية الضروريات الاخرى [2]، ويظهر هذا بوضوح في الحالات التي تتطلب فيها العمليات الاقتصادية نوعا من العمل وتنظيمه، وعلى الرغم من هذا الاعتماد والترابط بين هذه النظم الا ان ذلك لا يعني انها دائما في حالة تناسق وتبادل بعضها مع البعض، فقد نجد نوعا من التضاد وعدم الانسجام، فمثلا النظام الديني يؤكد عللا الاخلاص وعدم الغش والدقة في العمل وابراز المنافسة المشروعة والتضحية من اجل الجماعة، بينما قد تشجع بعض الانظمة الاقتصادية حالات الجشع والخداع والكذب من أجل الحصول على الربح المادي، وهذه الافكار كانت متجسدة في فلسفة اخوان الصفا الاقتصادية والتي تميزت بشمولية الحاجيات والضروريات التي يزاولها الانسان في نشاطه الاجتماعي من القيم الفكرية والمادية والروحية.

الانشطة الاقتصادية:

اولا: الصناعة:

---

(1) لطفي , د. عبد الحميد , علم الاجتماع , دار المعارف , مصر , القاهرة , ط6 , 1966, ص 61.

(2) مصطفى .د. فاروق اسماعيل , التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي , دار المعرفة الجامعية الاسكندرية , ط 2 , 1983 , ص 125.

لقد اشار اخوان الصفا في الرسالة الثامنة من رسائلهم الى (الصنائع العملية، والغرض منها) الى تعريف الصناعة وانواع الصناعات، فقد عرفوا الصناعة (بأنها هي التي تتخذها النفس الجزئية – اي الانسان – حيلة للمعاش والكسب) [1]، وصنفوا الصنائع الى عدة تصنيفات وعلى اسس مختلفة وهي كما يلي :

تقسيم الصنائع على حسب مراتبها وهي ما يلي : [2].

صنائع القصد الاول وهي الصناعات الضرورية، الحراثة والحياكة والبناء .

الصنائع التابعة والخادمة: وهي كل صناعة تسبق الصناعة الضرورية مباشرة، فصناعة الحياكة لا تتم الا بصناعة الغزل وصناعة الغزل لا تتم الا بصناعة الحلج فصارت صناعة الغزل وصناعة الحلج تابعة للحياكة، كما ان الخياطة لازمة لعمل الملابس من النسيج، فصارت الخياطة متممة للحياكة وصناعة الحراثة لا تتم الا في اثارة الارض وحفر الانهر وصناعة البناء لا تتم الا بالنجارة والحدادة .

الصنائع المتممة والمكملة: وهي الصناعات التي تلزم لا يجاد الصناعات التابعة للصناعات الضرورية، مثل صناعة الخياطة والقصارة[*]، والرفو والطرز بالنسبة للحياكة، والمساحي والفدن بالنسبة للحراثة وصناعة المعدن بالنسبة للبناء.

د: صنائع الزينة والجمال : وهي تتمثل في صناعة الديباج والحرير وصناعة العطر.

ثانيا : تصنيف الصنائع حسب شرفها : اذ قسم اخوان الصفا الصناعات بتفاضل بعضها على بعض من عدة جوانب [3]:

من جهة الهيولى الموضوع فيها مثل صناعة الصباغة والعطارين.

من جهة مصنوعاتها مثل صناعة الذين يعملون الات الرصد مثل الاسطرلاب وذوات الحلق والاكر المتمثلة بصورة الافلاك والسبب في ذلك (ان قطعة من

---

(1) الرسائل , ج3 , ص 131 .

(2) الرسائل , ج 4 ,ص 284-285 .

(*)القصارة: حرفة القصار وهو الذي يدق الثياب ويبيضها ..

(3) الرسائل ,الرسائل , ج 1 ,ص 287 -288.

الصفر قيمتها خمسة دراهم اذا عمل منها اسطرلاب يساوي مائة درهم، فأن تلك القيمة ليبست للهيولى ولكن لتلك الصورة التي جعلت فيها) [1].

من جهة الحاجة الضرورية الداعية لاتخاذها وهي صناعة الحياكة والحراثة والبناء.

من جهة منفعة العموم، مثل صناعة الحمامين والسمادين والكناسين، لان الضرر في تركها عظيم عام على اهل المدينة [2].

ج- من جهة الصناعة نفسها، مثل صناعة المشعبذين[*] والمصورين والموسيقيين .

ثالثا : تصنيف الصنائع حسب موضوع الصناعة الى نوعين [3] :

أ - الصنائع الروحانية: وتشمل الصناعات العلمية .

ب - صنائع جسمانية: وهي الصناعات العملية وهذه نوعان: بسيطة ومركبة، فالصنائع البسيطة هي التي تستخدم فيها الماء(كصناعة الملاحين والسقائين والروائيين والشرابين والسباحين) والتراب (كصناعة حفر الابار والانهار والقني والقبور والمعادن) والنار(كصناعة النفاطين والرقادين والمشعلين) والهواء (كصناعة الزمارين والبواقين والنفاخين) او الماء والتراب ((كصناعة الفخارين والفضارين[*]))، والقدوريين وضرابي اللبن .

اما الصنائع المركبة فهي التي تستخدم فيها الاجسام المعدنية كصناعة الحدادين والصفارين والرصاصين والصواغين او التي تستخدم فيها النباتات كصناعات النجارين والخواصين، والبوارين والحصريين والاقفاجين او استخدام لحاء النبات لصناعة الكتابيين والقنب والكاغد 0000 اواستخدام ثمر الاشجار وحب النبات لصناعة الدقاقين والرزازين والعصارين والبزارين والشيرجيين (*)، ولكل ما يخرج

---

(1) الرسائل ,الرسائل , ج 1 ,ص 287 -288.

(2) المصدر نفسه , ص 288 .

(*)المشعبذين : صناعتهم تقوم على صفة اليد واعمال السحر ما يرى الشئ , بغير ما عليه اهله في رأي العين.

(3) الرسائل , ج 1 , ص 280 – 281.

(*)الفضارين : الذين يصفون الفضار وهو خزف يحمل لدفع العين (الحسد) .

الادهان من ثمر الشجر وحب النبات والتي موضوعها الحيوان، كصناعة الصيادين ورعاة الغنم والبقر وساسة الدواب، والبياطرة واصحاب الطيور، او موضوعها احد الاجسام الحيوانية كصناعة القصابين والشوائين والطباخين والدباغين والاساكنة – والتي موضوعها مقادير اجسام الانسان كصناعة الطب والمزينين والمعلمين [1].

رابعا : تصنيف الصنائع حسب الادوات والآلات المستعملة فيها وهي ما يلي :

الصنائع التي تحتاج الى بعض اعضاء الجسد وادوات كثيرة من خارج الجسد مثل صناعة البناء والدباغة والحياكة وامثالهم .

الصنائع التي تحتاج فيها الى بعض اعضاء الجسم فقط، مثل صناعة الخطيب والشاعر والقاضي والقارئ والناطور والديديان والحاكي والرقاص.

ولهذه التصنيفات اهمية كبرى في حياة المجتمع، اي لا يمكن للمجتمع ان يستمر في التطور الانتقال من مرحلة الى مرحلة اخرى الا من خلال التعاون بين جميع فئات المجتمع من خلال ما يقيمون به من اعمال وصناعات مهمة في المجتمع ، كما تدل على نطاق تطور الصناعات في القرن الرابع الهجري والفكر الاقتصادي في تلك الفترة، وقد صنف بعض فلاسفة الاسلام الصنائع مثل الفارابي

(ت 339هـ)والغزالي (ت 505هـ) وابن خلدون (1406 هـ)، حيث صنفها الفارابي حسب انتاجها والحاجة اليها وفائدتها[2].

اما الغزالي فقد صنفها الى صنفين حسب ضرورتها الى صنائع ضرورية وصنائع اوجدها النعيم والترف وهي ما تسمى بالكماليات وحسب النظرة الاجتماعية اليها، وهي الصناعات المستحبة كالنجارة والخياطة وصنائع غير مستحبة كصناعة الحاكة والمعلمين [3].

---

(1) الرسائل , ج 1 , ص 280 – 281.

(2) انظر :الفارابي , احصاء العلوم , تحقيق الدكتور عثمان امين , دار الفكر العربي , القاهرة , 1948 , ص 91 - 96 .

(3) انظر : الغزالي , احياء علوم الدين , ج 1 , دار الفكر , ط1 , 1975 , ص 22- 23.

اما ابن خلدون فقد صنف الصنائع عدة تصنيفات منها الصنائع البسيطة والصنائع المركبة، البسيطة هي التي تختص بالضروريات، والصنائع المركبة هي التي تختص بالكماليات[1]. كذلك صنف الصنائع الى صنائع ضرورية في العمران كالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة، وصنائع شريفة كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب [2].

ثانيا : التجارة :

لقد اهتم اخوان الصفا بالتجار، اذ عرفوهم بأنهم الذين يتبايعون بالأخذ والاعطاء وغرهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون [3]. ويرون ان هؤلاء لا يهتمون الا بجمع المال من الحلال والحرام ويبنون الدكاكين والحانات ويملؤونها من الامتعة ويحتكرونها ويضنون بها على انفسهم وجيرانهم واحبابهم ويمنعون الفقراء او المساكين حقوقهم فلا ينفقون حتى تذهب جملة واحدة، اما في حرق او غرق او سرقة او مصادرة او قطع طريق، فلا زكاة اخرج ولا صدقة اعطى ولا يتيما بر، ولا معروفا لضعيف اسدى ولا صلة لذي رحم، ولا احسانا الى صديق ولا تزود للمعاد، ولا قدم للآخرة [4]. ومن هنا فأنهم حددوا العلاقات الاقتصادية وفق الكسب المادي الدنيوي والابتعاد عن الاعمال التي تجلب لهم السعادة في الاخرة، وهكذا فقدت القيم السامية في المجتمع، وعدم التمسك بتعاليم الدين الاسلامي من خلال مساعدة الفقراء والناس المحتاجون، والشجع وعدم الزكاة، والاحتكار -----الخ واصبح الطابع السائد في المجتمع الطابع المادي القائم على الخداع والغش وانتشار القيم الفاسدة، وبذلك سبق اخوان الصفا ابن خلدون في تحليلهم للعلاقات التجارية، اذ يقول (ان التاجر مدفوع الى المعاناة البيع والشراء

---

(1) ابن خلدون , المقدمة , ص 254.

(2) المصدر نفسه .ص 258.

(3) الرسائل , ج 1 , ص 285.

(4) الرسائل ,ج 2 , ص 358.

وجلب الفوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتحذلق وممارسة الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة، وهذه الاوصاف نقص في الذكاء والمرؤة وتجرح فيها الافعال لا بد من عود اثارها على النفس) [1].

التكامل الاقتصادي :

لم يقف اخوان الصفا على المناشط الاقتصادية، بل اكدوا على المبادئ الاساسية التي يقوم عليها هذا النظام من اجل تطوره وتقديم أفضل الخدمات للأفراد منها تأكيدهم على الترابط بين الجماعات الانسانية بعضها ببعض من الناحية الاقتصادية اي ان كل جماعة انسانية تكون مكملة للأخرى، زمنها ارتباط المدن بالقرى، لان القرية هي التي توفر الحاجات الاساسية من الغذاء والملبس والاثاث، وكل ما ينتج منم النباتات والحيوانات، فقد ذكر اخوان الصفا على لسان أهل الوبر من الاعراب والاكراد والاتراك والبراري (القرى) (لو بعنا حيواناتنا لبقينا بلا لبن نشرب ولا لحم نأكل ولا ثياب من صوف، ولا أثاث من شعر، فنبقى عراة حفاة اشقياء بسوء الحال، ويكون الموت خيرا لنا من الحياة ويصيب مثل ما اصابنا) [2].وهذه الفكرة نفسها اكد عليها الفارابي عندما قال (القرية خادمة المدينة)، اي وجود مبدأ التعاون بين الوحدات الاجتماعية من أجل التكامل الاقتصادي والاجتماعي بين الناس، اذ قال اخوان الصفا (لقد اجتمع الناس في المدن والقرى وتزاحموا لشدة حاجاتهم الى معاونة بعضهم بعضا لان الانسان لا يقدر ان يعيش وحده الا عيشا نكدا) [3]، وهذا ما اشار اليه عالما الاجتماع كنزلي ديفيز وكولون الى الاعتماد المتبادل بين الريف والمدينة، فالريف يمد المدينة بالمنتجات الزراعية، فيما تقوم المدينة بمد الريف بالسلع والخدمات التي

---

(1) ابن خلدون , المقدمة , ص 253.

(2) الرسائل / ج 2 . ص 236 – 237.

(3) الرسائل / ج3 ,ص 375.

تدفع متوسط انتاجية الانسان والارض، وهذا يعني ان المدينة لا تقوم بمهنة الزراعة، وانما يمارس سكانها انواع اخرى من المهن [1]، ولم يقف اخوان الصفا عند التعاون بين المدينة والقرية، بل اخذوا بعدا اكبر ليشمل البلدان لسد النقص فيما بينهما من منتجات ومواد اولية، والذي يكون نتيجة عمارة الدينا واصلاح اهلها ودوام حالها، اذ ذكروا بأن (وأما ما هم عليه من الاختلاف في المصانع والاعمال بحسب اختلاف اهوية البلدان، مثل اهل ارمينية وغيرهم يعملون الصوف ويبدعون في عمله ونقشه وصبغة والوانه وانهم لا يحسنون عمل الشرب والدبيقي من الكتان، فليس ذلك شيئا يوجب لهم الذم على ترك عمله والاستعمال له، ولا الذين يعملون الشرب والدبيقي من الكتان ولا يحسنون الصوف، يذمون على ذلك وينسبون الى العجز، والتقصير ولكن تحمل صناعة هؤلاء وينتفع بعضهم بصناعة بعض، ويحمل ما عند هؤلاء فيكون بذلك سبب عمارة الدنيا، وصلاح اهلها ودوام حالها[2] وقد شعر بأهمية التبادل التجاري في المجتمع البشري علماء الاجتماع والانثربولوجيا الاجتماعية حتى ان بعضهم اعتبروه من اهم اسباب التضامن الاجتماعي بين المجتمعات الانسانية ومن ثم سببا من اسباب تطورها واحترام قيمتها واعرافها الاجتماعية .

تقسيم العمل والتخصص :

اكد اخوان الصفا على مبدا تقسيم العمل والتخصص داخل المجتمع وذلك من خلال الطابع الاجتماعي لنشاط الانسان وعلى قيمة العمل، لذلك يضعون تقسيم العمل في المجتمع كأساس لتطوره وتقدمه نحو مراتب متقدمة ، لأنه شرط من شروط الابداع والابتكار والاصالة ، والتي من خلالها يكون الاعتماد على الخبرة والمهارة الفنية التي يحملها الانسان في عمله، ففي مجال قيمة العمل وتقسيمة يرون

---

(1) Davis ,K. and .Golden , H.H Urbanization and the Development of pre- industrial area in cities and society.

(2) .....

ان من اجل الحصول على طيب العيش لا بد من احكام صنائع شتى ولا يمكن للإنسان الواحد ان يبلغها كلها لان العمر قصير والصنائع كثيرة فمن اجل هذا اجتمع في كل مدينة او قرية اناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضا، وقد اوجبت الحكمة الالهية والعناية الربانية ان يشتغل جماعة منهم بأحكام الصنائع، وجماعة في التجارة وجماعة بأحكام البنيان، وجماعة بالخدمة للجميع والسعي في حوائجهم [1] ثم وضعوا نظام الحوافز في العملية الانتاجية من اجل خلق الدافع للعمل، وتحفيز روح الحماس والاهتمام وزيادة الانتاج كما ونوعا، وحسب ما يقدمه من نشاط اقتصادي، وهذا يكمن في قولهم (واما ما اصطلحوا عليه في الكيل والوزن والثمن والاجرة، فان ذلك حكمه وسياسته ليكون حثا لهم في الاجتهاد في اعمالهم وصنائعهم ومعاونتهم، حتى يستحق كل انسان من الاجرة بحسب اجتهاده في العمل ونشاطه في الصنائع [2] ويفهم من هذا الاجر الذي يستحقه العامل حسب كمية العمل ونوعيته، لذا فان شرط الاجر يتمثل في وجود قدرة العامل على العمل بغض النظر عن الجنس والعنصر والقومية، وهذه نظرة منبعثة من الشريعة الاسلامية للعمل .

العلم والعمل :

ربط اخوان الصفا العلم بالعمل، فليس الحصول على العلوم المختلفة والاكتفاء بها، لا بد من ان ينعكس علم الانسان على عمله، وبعبارة اخرى يرى اخوان الصفا وجوب ان يعمل الانسان بما تعلمه من علوم، ذلك من علم ولم يعمل لا ينفعه عمله وكذلك من عمل ولم يعلم يضل سعيه [3]، وبذلك اهتم اخوان الصفا كل الاهتمام على وجوب ان يظهر اثر العلم على عمل الانسان، وعلى ان يؤدي به هذا لا تقان عمله وصنعته، فمن عمله يتشبه بالصانع الحكيم المتقن كل شيء، وهو

---

(1) الرسائل / ج 1 , ص 100

(2) المصدر نفسه .

(3) الرسالة الجامعة . ص 138

الباري، ويقال ان الله تعالى يحب الصانع المتقن في صنعته . ومن اجل هذا عرفوا الفلسفة بانها التشبه بالألة بحسب طاقة الانسان، وانما ارادوا بالتشبه في العلوم وأحكم الحكماء، واصنع الصناع، وافل الاخيار، فكل من زاد في هذه الاشياء درجة ازداد من الله قربه [1].

وان العمل هو سلم المعراج والمعرفة هي النور يسعى بين يديك ، فبالسلم ترتقي وبالنور تهتدي وفقك وايانا للعلم والعمل برحمته، وبذلك نظروا الى اول الفلسفة على انها محبة العلوم واوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم (5) ومن خلال نلاحظ ان فلسفتهم تجاه العمل مرتبطة بالجوانب الروحية باعتبارها ان قيمة العمل لا تكمن في العمل ذاته وانما في ارتباطه بالغايات الانسانية التي تعمل على تحقيق الرضى الانساني، وبهذا اكتسب العمل عندهم مكانه مرموقه من خلال ابرازهم للعمل الروحي والعمل المادي، كما يتضح من ذلك تطابق آراء اخوان الصفا مع رآي ماكس فيبر حول العلاقة بين الدين والاقتصاد، على اعتبار ام الدين عنصر جوهري من العناصر التي تؤدي الى التغيرات التي تطرأ على النظام الاقتصادي [2].

وعلى العكس ما جاء به الاتجاه الماركسي الذي اكد على الشعور الانساني او الضمير، الذي يرجع الى التأثير المباشر الذي تفرضه الاوضاع الاقتصادية والطبقية، بمعنى ان الطبقة الاجتماعية هي التي تحدد معالم الوجدان وتفسر خصائص الشعور الداخلي للإنسان .

النظام السياسي:

من المعروف ان كل مجتمع، مجموعة من التدابير والاجراءات التي تهدف الى اصلاحه والمحافظة على الاوضاع السائدة فيه، بمعنى ان له نظاماً سياسياً له قواعده السلوكية التي يفرضها على افراده من اجل دفهم وفق قيمه وعاداته ونظمه

---

(1) الرسائل . ج 1 . ص 490

(2) اسماعيل . د. قباري محمد , ما وراء علم الاجتماع . ص 395

التي اعتاد عليها في مواجهة ومقابله احتياجات افراده، وتنظيم العلاقات بينهم، وهناك اتفاق عام على ان ظهور هذا النظام ظاهرة حديثة النشوء نسبياً اذ انها ظهرت بنشوء المدن، حيث كان الانسان في بداية امره لم يعرف تنظيماً سياسياً متكاملاً، وانما كان يخضع للنظام القبلي الذي يستند على صلات القرابة، وكانت العلاقات بين الجماعة ورئيسها تعتمد على علاقة طوعية مبينه على الاحترام والثقة والمصالح المشتركة والولاء الطوعي، وتشد هذه العلاقة رابطة القرابة والعصبية القبيلة [1]،وهذا ما كان سائداً في المجتمع العربي قبل الاسلام، لكن اتساع المجتمع وتطوره وتعقد بنائه الاجتماعي و دخول الافراد فيما بينهم في صراعات ومنازعات، مما اكد الحاجة الى وجود تنظيم سياسي يعمل على التنسيق والتعاون والتجانس بين هؤلاء الافراد المتصارعين والحفاظ على حقوقهم وملكيتهم الخاصة، والدفاع عنهم من الاعتداءات الخارجية

وقد اهتم كثير من الفلاسفة بدراسة هذا النظام نظراً لأهميته والدور الذي يلعبه في بناء الجماعات المختلفة، ومن هؤلاء جماعة اخوان الصفا الذين ينالوا في ما يلي :

تعريف السياسة وانواعها :

لقد عرف اخوان الصفا السياسة صلاح الموجودات وبقاؤها على افضل الحالات واتم الغايات[2]، كما يرون ان اصلح الاعمال واجل الافعال في معرفة السياسات الدينية والدنيوية[3]، و هذه المعرفة بالسياسات جعلها اخوان الصفا من اختصاص على مرتبه في جماعتهم التي تمثل مرتبة الامام الذي له وحده حق التأويل وحق

(1) العاني , د. عبد اللطيف عبد الحميد , واخرون , مدخل الى علم الاجتماع : ص 217 .

(2) الرسائل / ج1 : ص 314 .

(3) الرسالة الجامعة : ص 539 .

الاجتهاد [1] وهذا نابع من نظرتهم الى السياسة على انها جزء من العلوم الالهية، ويرون ان السياسة خمسه انواع[2] :

السياسة النبوية : وهي التي تعني بمعرفة كيفية وضع القوانين المرضية والسنن الزكية، وكيفية سياسة النفوس الشريرة وشفائها بالرأي السديد والعادات الجميلة والاعمال الزكية والاخلاق المحمودة، لترجع الى سبيل النجاة والترغيب في جزيل الثواب[3]، وهذا النوع من السياسة يعتبره اخوان الصفا من ارقى انواع السياسات وذلك حسب قولهم:((واعلم يا اخي انه ليس من علم ولا عمل ولا صناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو اعلى منزلة ولا أسنى درجة ولا في الاخرة اكثر ثواباً، ولا بافعال الملائكة اشد تشبهاً ولا الى الله اقرب قربة، ولا لرضاه ابلغ طلبا، من وضع الشرائع الالهية)) [4]

السياسة الملوكية:

وهي معرفة حفظ الشريعة على الامة، واحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بإقامة الحدود، وتنفيذ الاحكام التي رسمها صاحب الشريعة ورد المظالم وقمع الاعداء وكيف الاشرار ونصرة الاخيار[5]، وتكون هذه السياسة من اختصاص خلفاء الانبياء(صلوات الله عليهم)، والائمة المهديين الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون[6] واطلقوا على رئاسة هؤلاء بالرئاسة الروحانية والتي تمثل رياسة اصحاب الشرائع الذي يملكون النفوس والارواح بالعدل والاحسان . ويستخدمونها في الملل والشرائع لحفظ واقامة السنن والتعبد

---

(1) حجاب , د. محمد فريد , الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا : ص 340 .

(2) الرسائل / ج1 : ص 273.

(3) م.ن .

(4) الرسائل / ج4 : ص 128 .

(5) الرسائل / ج 1 : ص 273-274.

(6) م.ن

والاخلاص[1]، وفي المقابل توجد رياسة جسمانية تخص رياسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان الا على الاجسام بالقهر والغلبة والجور والظلم ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهراً في اصلاح امور الدنيا وشهواتها والغرور بلذاتها وامانيها [2] .

السياسة العامية : وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان والمدن ورئاسة الدهاقين على اهل القرى ورياسة قادة الجيوش على العساكر، فهي معرفة طبقة المرؤوسين وحالاتهم وانسابهم وصفاتهم ومذاهبهم واخلاقهم وترتيب ومراعاة امورهم[3] .

السياسة الخاصية : وهي معرفة كل انسان كيفية تدبير منزله وامر معيشته ومراعاة امر خدمه وغلمانه واولاده ومماليكه واقربائه، وعشرته مع جيرانه، وصحبته مع اخوانه، وقضاء حقوقهم وتفقد اسبابهم، والنظر في مصالحهم في امور دنياهم واخرتهم[4] .

السياسة الذاتية: وهي معرفة كل انسان نفسه واخلاقه، وتفقد افعاله واقاويله في حالة شهوته وغضبه ورضاه، والنظر في جميع اموره[5]، وهنا يكون سعي الانسان لإصلاح ذاته واصلاح غيره عملا بقول النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) [6] .

وبذلك كانت امور الانسان الذاتية تنحصر من جانبين هما امور الجسد وامور النفس، حيث عالج اخوان الصفا هذين الامرين في فصلين مستقلين الاول في

---

(1) الرسائل / ج4 : ص 128 .

(2) م.ن

(3) الرسائل / ج1 : ص 274 .

(4) م.ن

(5) م.ن

(6) الرسائل / ج3 : ص 534.

السياسة الجسمانية والاخر في السياسة النفسانية[1]. وهنا يكون اصلاح الفرد عندهم هو اساس اصلاح المجتمع، فاذا استطاع ان يصلح نفسه ويسوس جسده امكنه سياسة الاهل والغلمان ومن ساس اهله بسيرة عاد له امكنه ان يسوس قبيلة، وبالتالي يسوس اهل المدينة ومن وصل الى هذه امكنه ان يسوس الناموس الالهي ومن يتمكن الوصول الى هذا الامر امنه ان يصل الى عالم الدوام ليجازي بما عمل خير[2] .

الدولة : لم يجمع اخوان الصفا اراءهم حول الدولة في رسالة واحدة من رسائلهم، وانما جاءت تلك الآراء متفرقه في عدة رسائل، فانهم لم يعرفوا الدولة تعريفاً محدداً، وانما حددوا صفات الدول التي تسعى للخير والشر، وطبيعة دول الخير والاخلاق والتعاون والمحبة ووحدة المصير، والهدف، وهذه الدول التي يسعى اليها اخوان الصفا دائماً في رسائلهم والتي تبدا على حد رأيهم مع الدعوة المحمدية[3]، واستمرت طول عهد الرسول والخلافة الراشدية، لكنها انقطعت نتيجة لما أصاب أهل الرسول وأقاربه من مصائب فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفا وانقطاع دولة خلان الوفا الى ان يأذن الله امرهم فيعودوا الى الظهور مرة اخرى[4]، وفي فترة الانقطاع يعدون جماعتهم لتكون على استعداد لتحمل مسؤوليتها في قيادة دولة الخير، وذلك حين تزول دولة الشر بناء على ما تنبئ به النجوم وهذا ((يصير الحكم والامر الى القوس بيت المشتري، ومثلثه الشمس، فتظهر في عالم السعادة، ويستقيم امر الدين، وينتظم امر العالم على كلمة واحدة ويجتمع بعد الشتات

(1) الرسائل / ج 4 : ص 254-259.

(2) الرسائل / ج3 : ص 48.

(3) الرسالة الجامعة : ص 245.

(4) الرسائل / ج4 : ص 269.

وتظهر دولة اخوان الصفا)) [1]، وقد صور اخوان الصفا زوال دولة أهل الشر وبداية اهل الخير بقولهم:((ولا يزال الامر كذلك حتى ينشئ الله النشأة الاخرى ويعيد الخلق الى اوله، ويرجع الحق الى اهله، وتهلك الشجرة الخبيثة وتجف عروقها، وتتكسر اغصانها وتتساقط اوراقها، وينزل الله عليها ناراً من السماء تحرقها فلا يبقى لها اثر على وجه الارض، كما قال تعالى: ((اجتثت من فوق الأرض مالها قرار)) [2] .

فعند ذلك تظهر شجرة اليقين ويجتمع اليها اهل الدين من المؤمنين العارفين وعباد الله الصالحين وتبتدئ دولة اهل الخير وتزول دولة اهل الشر[3] . ودولة الخير عندهم تبدأ من قوم فضلاء اخيار يجتمعون ويتفقون على رأي واحد ويتناصرون ولا يتخاذلون ويتعاونون ولا يتقاعسون عن نصرة بعضهم البعض، ويكونون كانسان واحد في جميع امورهم وكنفس واحدة في جميع تدابيرهم[4] .

اذن الدولة على حد رأيهم تكون ذات تعاقب دوري، وانها تشبه الكائن الحي له نشأته وكهالته وهرمه، وان الحكم يتداول بين الناس من اهل بيت الى اهل بيت بحسب القرانات الفلكية، وبذلك تمر الدولة بثلاثة ادوار هي :

دور التكوين والابتداء.

دور الازدهار وتحقيق الغاية التي من اجلها ظهرت.

دور الضعف والانحلال ثم السقوط.

وهذا ما طبقه ابن خلدون فيما بعد خلال دراسته للدولة وتطورها عبر المراحل الآنفة الذكر[5] .

---

(1) الرسالة الجامعة : ص 339 .

(2) القران الكريم / سورة ابراهيم : أية 26.

(3) الرسالة الجامعة : ص 87-88.

(4) الرسائل / ج 1 : ص 181-182 , الرسائل / ج4 : ص 187-188 , الرسالة الجامعة : ص 53.

(5) انظر : الجابري , محمد عابد / العصبية والدولة , ص335-343 .

3- الرئاسة :

لما كانت عموماً بحاجة الى من يسوسها ويجمع شملها، فقد عنى اخوان الصفا كما عنى غيرهم من الفلاسفة بالحديث عن الحاكم او ما سموه بالسياسة الملوكية، فمثلما ينقسم الانسان الى جسد ونفس، والعالم الى جسماني و روحاني، فالرئاسة تنقسم الى رئاسة جسمانية يقصد رئاسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان الا على الأجساد بالجور والغلبة ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهراً في اصلاح امور الدنيا[1] .

اما الرئاسة الروحانية فهي سياسة اصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس، الأرواح بالعدل والاحسان ويستخدمونها لحفظ الملة والشريعة واقامة السنن والتعبد للفوز والنجاة والسعادة في الاخرة[2]، وبهذا تكون الرئاسة الجسمانية التي تملك الاجساد ولا تملك الارواح في سياسة مرفوضه من قبل اخوان الصفا وان اهم ما يميز الرئاسة ان يجمع بين الدين والملك.

فقد أردوا في مواضيع متعددة من رسائلهم نصوصا تؤكد على العلاقة بين الدين والملك واهميتها لقيام الدولة فقالوا:((الدين والملك اخوان تؤامان لا يفترقان، ولا قوام لأحدهما الا بأخيه، غير ان الدين هو الاخ المقدم والملك هو الاخ المؤخر المعقب له فلا بد للملك من دين يدين بها الناس، ولا بد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعاً او كرهاً [3]، كما ذكروا ايضا : ((ان الملك الذي هو أخو النبوة)) [4]

---

(1) الرسائل / ج4 : ص128 , الجابري, علي حسين / فلسفة التاريخ : ص 195-201.

(2) م.ن , وقد ميز انب خلدون بين الرئاسة والملك فيقول ((ان الرئاسة انما هي السؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه , اما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية (ابن خلدون / المقدمة : ص 96) , الجابري , علي حسين / فلسفة التاريخ : ص113-115.

(3) الرسائل / ج1 : ص 294 , الرسائل / ج2 : ص368 , الرسائل / ج3 : ص469.

(4)الرسائل / ج3 : ص 29.

وانه اذا كان ((الملك حارس الدين)) [1]، فأنه لا بد ((الملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية في الامة ويسوسهم ويدبر امورهم على أحكمه وأحسنه)) [2] ، وبذلك اعطوا الصورة المثلى للدولة هي التي تجمع فيها الملك و الدين لشخص واحد او رئيس واحد لانهم يرون ان الله تعالى لما اضاف نبوته الملك لم يضعها لرغبته في الدنيا وحرصه عليها ولكن اراد الله تعالى ان يجمع لامته الدين والدنيا جميعاً وكان القصد الاول هو الدين والملك عارض لأسباب شتى[3]، احدها انه لو كان الملك في غير امته، لم يكن يؤمن ان يردهم عن دينهم او يسومهم سوء العذاب من كان مسلطاً عليهم، مثل ما كان يفعل فرعون ببني اسرائيل[4] . والخصلة الاخرى ان الملك والدين اخوان تؤامان [5]، والخصلة الاخرى هي ان الناس في طباعهم وجبلتهم لا يرغبون الا في دين الملوك ولا يرهبون الا منهم[6] . وبهذه الخصال وخصال اخرى جمع الله الملك والنبوة لنبيه محمد (عليه الصلاة والسلام والتحية الرضوان) [7] . ولهذا كان الغرض من الملك هو حفظ الناموس على اهله ان لا يندس بتركهم القيام بموجباته، لان اكثر اهل الشرائع النبوية والفلسفية لولا خوف السلطان لتركوا الدخول تحت احكام الناموس وحدوده وتأدية فرائضه، واتباع سنته واجتناب محارمه واتباع اوامره ونواهيه [8] .

وان الغرض من حفظ الناموس هو طلب صلاح الدين والدنيا جميعاً، فمتى ترك القيام بواجباته، انفسد جميعاً، وبطلت الحكمة، لكن السياسة الالهية والعناية

---

(1) الرسائل / ج 2 : ص 235.

(2) م.ن : ص 299.

(3) الرسائل / ج3 : ص 496.

(4) م.ن

(5) م.ن

(6) م.ن

(7) م.ن

(8) الرسائل / ج1 : ص 292.

الربانية لا تتركهما يفسدان. لانهما هي العلة الموجبة لوجودهما وبقائهما[1]. فالمجتمع اذن محتاج الى رئيس يرأسهم ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه ويتنازعون عليه ويمنع الظالم القوي من التعدي على الضعيف المظلوم ويأمر الناس باتباع الشريعة[2] .

اما الصفات التي حددها اخوان الصفا لصاحة الرئاسة هي ما يلي[3]:

ان يكون تام الاعضاء، قويه قوائمه على الاعمال التي من شأنها ات تكون بها ومنها وحتى هم ان يقضي عملاً اتي عليه بسهوله .

ان يكون جيد الفهم سريع التصور لكل ما يقال له ويلقاه لفهمه مع ما يقصد القائل به على حسب الامر من نفسه .

ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره، بالجملة لا يكاد نسى شيئاً منها

ان يكون فطناً ذا رأي يكفيه لتبين ادنى دليل، حتى اذا رأي على شيء ادنى الدليل فطن على الجهة التي يدل عليها الدليل .

ان يكون حسن العبارة يؤتيه لسانه على ما في قلبه وضميره بأوجز الالفاظ.

ان يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول، لا يؤلمه تعب ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه .

ان يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقرباً لأهله.

---

(1) الرسائل / ج3 : ص 495.

(2) م.ن : ص 308 , الرسائل / ج4 , ص 128-137.

(3) الرسائل / ج4 : ص 129-130 . وان هذه الصفات قريبه جداً من الصفات التي وضعها افلاطون لرئيس جمهوريته , انظر :افلاطون , الجمهورية : ص 146-147 , وايضا متشابهة مع الصفات التي ذكرها الفارابي لرئيس المدينة الفاضلة , انظر : الفارابي / اراء في المدينة الفاضلة : ص 96-97 , وايضا مع الصفات التي ذكرها ابن ابي ربيع , انظر : التكريتي , ناجي/ الفلسفة السياسية عند ابن ابي ربيع, دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد : ط3 , 1987 , ص 56-57 , ومتشابهة مع الصفات التي ذكرها ابن رشد لرئيس المدينة الفاضلة : انظر , ابن رشد : تلخيص السياسة , ترجمة الدكتور حسن العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي , دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت , ط1 , 1998 , ص 140-141

ان يكون غير شره في الاكل والشرب والنكاح، متجنباً العيب، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه.

ان يكون كبير النفس عالي الهمة محباً للكرامة، تكبر نفسه عن الطبع عن كل ما يشين من الامور ويشفع، وتسمو همة نفسه الى ارفع الامور رتبة واعلاها درجة .

ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينه عنده زاهد فيها .

ان يكون محباً للعدل واهله، مبغضاً للجور والظلم واهله، يعطي النصفة لأهلها ويرثي لمن حل به الجور، ويكون مؤاتياً لكل ما يرى حسناً جميلاً عدلاً ، غير صعب القياد، ولا جموح وان دعي الى الجور القبيح لا يجيب.

ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى ان ينبغي ان يفعل جسوراً مقداماً ، غير خائف ولا ضعيف النفس .

ويقرر اخوان الصفا بانه اذا اجتمعت هذه الخصال في واحدٍ من البشر في دور من اداور القرانات في وقت من ادوار القرانات في وقت من الزمان، فان ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والامام للناس ما دام حياً ، واذا توفى بقيت تلك الخصال في امته وراثة منه، وان اجتمعت تلك الخصال في واحد من امته، فهو الذي يصلح ان يكون خليفة في امته بعد وفاته، فان لم يتفق ان تجتمع تلك الخصال في واحد لكن تكون متفرقه في جماعتهم اجتمعت تلك الجماعة في رأي واحد، وأتلفت قلوبهم على محبة بعظهم بعضاً ، وتعاضدت على نصرة الدين وحفظ الشريعة واقامة السنة، وحمل الامة على منهاج الدين، دامت لهم الدولة في دنياهم، و وجبت العقبى في اخرتهم، اما اذا تفرقت تلك الامة، بعد وفاة نبيهما واختلفت في منهاج الدين تشمتت شمل ألفتهم، وفسد عليهم أمر آخرتهم وزالت عنهم دولتهم[1] ولما كانت هذه الجماعة تجتمع على امر الدين وتهدف نت هذا الى تسير امورها على السداد فلا بد لها من رئيس يحفظها ويجمع شملها، أي

(1) الرسائل / ج 4 : ص 125 .

وجود شخصاً واحداً يحكم الدولة وهذا عكس الفارابي عندما ذكر بوجود اكثر من رئيس للدولة في آن واحد[1].

كذلك شبه كلاً من الفارابي واخوان الصفا المدينة ورئيسها بجسد الانسان هذا الجسد خاضعاً لرئيس واحد هو العقل عند اخوان الصفا والقلب عن الفارابي[2] .

و رئيس المدنية عند اخوان الصفا هو الذي ((يديرها ويروم حالها، ويضع اهلها كل واحد منهم في موضعه ويعطيه مالا غني عنه مما يستحقه(3) ، كما ارادوا منه حسن السياسة والعدل في الحكومة، ومراعاة امر الرعية وتفقد احوال الجنود والاعوان وترتيب مراتبهم والاستعانة بهم في الامور المشاكلة لهم[4]، وان يتعرف على رعيته الصغير منهم والكبير والحر والعبد، و الشريف والدني، العالم والجاهل والغني والفقير ويعرف احوالهم وظروفهم وبذلك يكون عادلاً في ذلك كله

---

(1) الفارابي / السياسة المدينة : ص 78 , وقد ذكر الفارابي ان اجتماع هذه كلها – أي الخصال الفطرية في انسان واحد عسر , فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة الا الواحد بعد الواحد والاقل من الناس , فان وجد في المدينة الفاضلة ثم حصلت فيه – بعد ان يكبر, تلك الشرائط الست المذكورة قبل او الخمس من دون الانداد من جهة القوة المتخيلة , كان هذا هو الرئيس , بمعنى اذا لم يوجد شخص يحمل خصال الرئيس , فالذي يخلف السابق يجب ان تتوفر في الشروط السته وهي : 1) ان يكون حكيماً . 2) ان يكون عالماً وحافظاً للشرائع والسير التي دبرها الاولون للمدينة. 3) ان يكون له وجوده استنباطاً فيما يحفظ السلف. 4) ان يكون له جودة رؤية وقوة استنباط لما سبيله ان يعرف في وقت من الاوقات الحاضرة من الامور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلهما ان يسير في الاولون. 5) ان يكون له جودة ارشاد بالقول الى شرائع الاولون . 6) ان يكون له وجوده ثبات ببدنه في مباشرة اعمال الحرب يقول الفارابي : ((اذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت عفيه هذه الشرائط ولكن واجد اثنان احدهما حكيم , والثاني فيه الشرائط الباقية كانا هما رئيسين في هذه المدينة , فاذا تفرقت الجماعة وكانت الحكمة في واحد والثاني في واحد والثالث في واحد والرابع في واحد والخامس في واحد , وكانوا متلائمين كانوا الرؤساء الافاضل)) :: الفارابي / اراء اهل المدينة الفاضلة: ص 106-107 .

(2) الفارابي / اراء اهل المدينة الفاضلة : ص 96.

(3) الرسالة الجامعة : ص 120 .

(4) الرسائل / ج 2 : ص 299 , الرسائل / ج4 : ص 133.

صلاح الجمهور والنفع العام، فان الغرض من الرئيس ليس اصلاح نفسه او اصلاح انصاره وأتباعه الموجودين في زمانه فقط بل غرضه اصلاح الجمهور[1]

وكما يذكر اخوان الصفا ايضا بعض الصفات التي يجب ان يتحلى بها الملك وهي اخذ البيعة على الاتباع والمستجيبين، وترتيب الخاص والعام مراتبهم، وجباية الخراج والعشر والجزية من المله وتفريق الارزاق على الجند والحاشية، وحفظ الثغور وتحصين البيضة، وقبول الصلح والمهادنة من الملوك والرؤساء من الامور المستحبة والهدايا لتأليف القلوب وشمل الالفة[2]، وهذا نفس ما اخذ به ابن خلدون في تعريفه للمسلك الذي قال بان الملك لم يستعبد الرعية ويجيء الاموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور ولا تكون يده يد قاهرة[3] .

وفي مكان اخر يذكر اخوان الصفا قصة احد ملوك الهند الذي دنت وفاته فأوصى ابنه ثلاثين وصية، يكون ملكاً صالحاً، موزعة على ثلاث مجموعات وهي كما يلي :-

مجموعة ينتفع بها في الاخرة وهي عشرة خصال، الاقرار بالتوحيد والابتهال اليه بالدعاء والتضرع بالليل والنهار، والاقرار برسله وتصديقهم والقبول منهم والتصديق بالكتب المنزلة من عندهم عليهم، حفظ الناموس وسياسة الناس، والتواضع لله وترك الظلم والجور لان من ظلم عباد الله كان الله تعالى خصمه فهو مخذول لا محال، وترك مخالطة النساء والاجتماع معهن والاصغاء الى قولهن وترك شرب المسكر فانه عدو العقل، والكرم والسخاء، وسماحة النفس والتفضل على سائر الناس، وصدق القول، اداء الامانة الى البر والفاجر[4]. مجموعة خصال ينتفع بها في الدنيا وهي عشرة خصال هي : حسن الخلق، وحسن الآداب، وصدق الوعد

---

(1) الرسائل / ج 4 : ص 133-136 .

(2) الرسائل / ج 3 : ص465 .

(3) ابن خلدون / المقدمة : ص 129 .

(4) الرسائل / ج 3 : ص 173-174 .

والوفاء بالعهد، والعفو عند المقدرة، واصطناع الرجال وترك الحسد، وان تحرص على ان لا يكون لك عدو، وترك التفريط فيما يديك من وديعة الله عندك، وان تكون مرؤتك غالبة لشهواتك، وان لا تؤثر دنياك على آخرتك، ترك النظر فيما لا يعنيك وعدم الانشغال الا بالله تعالى[1].

مجموعة خصال ينتفع فيها اصلاح الملك وثبيت السلطان وهي عشرة خصال : تفقد اهل الملكة حتي لا تغيب عنك شيء من امورهم صغيرهم وكبيرهم عالماً بجميع امور اعمالهم، ومقابلة كل واحد من الرعية قدر عمله، وان يكون العدل شاملاً ، وعدم الجور عليهم، وعدم المساواة بين العلماء والجهالة في العطية والمنزلة، وتولية الاخيار وعدم تولية العبيد والسوقة واولاد الزنا لان اعمال الولاة منسوبة الى السلطان فهم ان عدلوا قيل عدل السلطان وان جاروا قيل جار السلطان، وعدم استعمال اصحاب الرأي والمشورة من المخالفين في الدين، وان يكون الوزير أرفع اهل زمانه درجة في الدين الدينا جميعاً وان يكون من الاخيار، وانصاف المظلوم من الظالم، ومنع القوي من التعدي على الضعيف، واخيراً رد الحق الى اهله والانتصار لهم[2] .

فاذا اكتملت هذه الخصال لاحد كان في ذلك كمال الامور في الدين والدنيا والملك والسلطان، ومن ثم يكون ملكاً عادلاً ، ومن ثم على النبي ان ينصح امته ومن يخلفه امته فيهم لمقامه وخلافته من بعده بمراعاة هذه الخصال [3] .

النظام الديني:

ترتبط النظم لاجتماعية بعضها ببعض علاقات وثيقة والدين كواحد من هذه النظم يرتبط مع النظم الاجتماعية الاخرى بروابط متبادلة ولكن لا يمكن الفصل بينهما، اذا ام يكن منفصلاً عن الحياة اليومية ومظاهرها الاقتصادية والسياسية

---

(1) الرسائل / ج 3 : ص 174 .

(2) م.ن : ص 174-175. .

(3) م.ن : ص 175 .

والعائلة والتربوية، فان الدين يهتم بالعلاقة بين الانسان والقوة العليا الموجهة للحياة البشرية، فالدين اذن اهميه خاصة في الحياة الاجتماعية كونه مصدراً اساسياً ودعامة للنظام الاجتماعي العام، فهو جزء لا يتجزأ منه، كما انه هناك ترابطاً مستمراً بينه وبين المجتمع من الناحية المادية والمعنوية فهو يتأثر بالدين ويؤثر فيه وهما في تفاعل مستمر واعتماد متبادل، فلا اهمية للدين في المجتمع اذا لم يتفاعل مع المجتمع ونظمه ويتماشى معه، فعليه فان العلاقة بين الدين والسلوك الجماعي والشخصي علاقة عميقة الصلة من خلال تركيز الدين مثل اخلاقية كالحلال والحرام والخير والشر والثواب والعقاب، فانه يدخل بمعق في حياة المجتمع، ولهذا حظي الدين باهتمامات الدراسات الاجتماعية في علم الاجتماع [1]، فالدين كنظام اجتماعي يعتبر مجموعة من الظواهر العقائدية والعبادات التي تحدد معنى الحياة البشرية وتنظيم سلوك الانسان حيال خالقه والتي يشترك في الاعتقاد بها جماعة من الافراد والذين يكونون وحدة متماسكة دائميه[2].

ولكن نتيجة للتغييرات الاجتماعية والسياسية التي طرأت على المجتمع العربي ابان القرن الرابع الهجري، انعكست هذه التغييرات على النظام الديني وعلى المستوي النفسي والاجتماعي بالنسبة للأفراد، لذلك يرى اخوان الصفا ان اكثر الديانات في عصرهم انتحلها قوم ذهبت بهم اوهامهم الى وضعها في غير مواضعها، فانحرفوا عن طريق الرشاد، واستولي عليهم الميل والعصبية والحمية الجاهلية، فضلوا وأضلوا ضلالاً بعيداً [3]، وفي وصفهم لأهل الدين جاءوا به على لسان زعيم الحيوانات مخاطباً بني الانسان: ((اما قراؤكم وعبادكم الذين تظنون بانهم اخياركم وترحون استجابة دعائهم وشفاعتهم لكم عند ربهم، فهم الذين غروكم بإظهارهم الورع

---

(1) Merton , R. Social Theory and Social Structure , The Free press , P : 10 , 1901

(2) الخشاب , مصطفى / علم الاجتماع الديني , مكتبة القاهرة الحديثة , القاهرة , 1964 : ص 82-83.

(3) الرسالة الجامعة /: ص 507 .

والخشوع والتقشف والنسف، وقلوبهم مملؤة بغضاً وحقداً وجفاء لمن ليس مثلهم ونفوسهم مملؤة وساوس وخصومة مع ربهم بضمائرهم، ونفوسهم شاكة متحيرة فهم عند الله اشرار وان كانوا عندكم اخيار)) [1].

ونتيجة تصورهم هذا نادوا الى اعادة فهم الدين على اساس الفلسفة فنادوا بتطهير الشريعة من الجهالات التي لصقت على حد زعمهم، كما دعوا الى مزج هذه الشريعة بحكمة اليونان وبذلك يحصل في رأيهم الكمال وهذا ما نقله التوحيدي عنهم عندما قال : ((وكانت هذه العصابة (أي اخوان الصفا) قد تألفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به طريق الفوز برضوان الله، وذلك انهم قالوا ان الشريعة قد دنست بالجهالات او اختلطت بالضالات ولا سبيل الى غسلها الا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية قد حصل الكمال)) [2]، ويرون ان الهدف من الشريعة هو نفس الهدف من الفلسفة، ويتضح ذلك من قولهم : ((واعلم ان العلوم الحكيمة والشريعة النبوية كلاهما امران الهيان يتفقان في الغرض المقصود منهما الذي هو الاصل، ويختلفان في الفروع، فاذا كانت الفلسفة تهذيب الى تهذيب النفس والترقي من حال النقص الى التمام والخروج الى حدة القوة الى الفعل بالظهور لتنال بذلك البقاء والدوام والخلود فان الغرض من النبوة والناموس هو تهذيب النفس الانسانية واصلاحها وتخليصها من جهنم لتصير الى الجنة، واما اختلافها في الطرق المؤدية اليها من اجل الطبائع المختلفة والاعراض المتغايرة التي عرضت للنفوس، وبذلك اختلف موضوعات النواميس وسنن

---

(1) الرسائل / ج 2 : ص 359-360 .

(2) التوحيدي , ابو حيان / الامتاع و المؤانسة : ص 8.

الديانات كما اختلف عقاقير الاطباء وعلاجاتها، بحسب اختلاف الامراض واختلاف الازمنة والامكنة[1].

ولما كان هدف كل من الدين والفلسفة واحد في نظرهم، فقد قام منهجم على اساس الجميع بينهما .. ومن ثم مجدوا الفلسفة الممزوجة بالشريعة[2]، فعندهم الدين مع نواميس الحكماء والفلاسفة .

وحدة الاديان:

يقول اخوان الصفا عن وحدة الدين:((ان معنى الدين في لغة العرب هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد، ولا يعصيه في ما يأمره به ولا ينهاه عنه فيما فيه صلاح للجميع [3]. ثم ان الانبياء لا يختلفون فيما يعتقدون من الدين سر وعلانية، ولا في شيء من البتة واما الشرائع التي هي اوامر ونواه واحكام وسنن، فهم فيها مختلفون ثم اعلم ان اختلاف الشرائع ليس بضار اذا كان الدين واحداً، لان الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الامر فيما وينهي المرؤوسين بحسب ما يليق بواحد واحد، وما يرى أن يصلح له ويصلح فيه.

وهكذا شرائع الانبياء واختلاف سننهم بحسب اهل الزمان، وما يليق بهم امة بعد امة وقرنا بعد قرون(4)، فدين الانبياء من وجهة نظرهم دين واحد مهما تعددت الطرق واختلفت المسالك وتباينت العقائد، وتنوعت المذاهب، فالأديان كلها تؤدي الى الطريق المستقيم الذي يوصل الانسان الى الكمال المطلق والهدف الاكمل، وهذا هو دين الحب الانساني الذين بشروا به دعوا اليه، لبيان امر الاخرة واحوال القيامة وجزاء الاعمال فيقولون:((دين الانبياء واحد ومسالكهم جميعاً مقصد واحد وغرض واحد، وات اختلفت شرائعهم صلوات الله عليهم اجمعين

---

(1) الرسائل / ج 3 : ص 30 .

(2) الرسائل / ج 2 : ص 449, الرسائل /ج4 : 270-271 , الرسالة الجامعة : ص 197-198.

(3) الرسائل / ج 3 : ص 486 .

(4) م.ن : ص 487 .

)) [1]. وهذا مما ادى بهم الى التسامح الديني وسعة الافق بحيث لم يكادوا يفرقون بين دين ودين، فالأديان كلها سواء في تحقيق الغاية[2]. ويقولون في ذلك : ((اعلم ايها الاخ البار نحن جماعة اخوان الصفا اصفياء اصدقاء كنا نياماً في كهف ابينا ادم مرة من الزمان- حتى جاء الميعاد بعد تفرق في البلاد في مملكة صاحب الناموس الاكبر وشاهدنا مدينتنا الروحانية فهل لك يا اخي ان تبادر وتركب معنا في سفينة النجاة التي بناها ابونا نوح (عليه السلام) فتنجوا من طوفان الطبيعة قبل ان تأتي السماء بدخان مبين وتسلم من امواج بحر الهيولي، ولا تكون من المفرقين ؟ وهل لك يا اخي ان تنظر معنا حتى ترى ملكوت السموات التي رآها ابونا ابراهيم لما جن عليه الليل حتى تكون من الموقنين ؟ وهل لك يا اخي ان تتم الميعاد وتجيء الى الميقات عند الجانب الايمن حيث قيل يا موسى، فيقضي اليك الامر فتكون من الشاهدين ؟ او هل لك يا اخي ان تصفح عما فيك القوم كي ينفخ فيك الروح فيذهب اليك اللوم، حتى ترى الا يسوع عن ميمنة عرش الرب ضرب مثواه كما يقرب ابن الاب او ترى من حولة الناظرين او هل ان تخرج من ظلمه أهرمن[3]، حتى ترى اليزدان[4] قد اشرق فيه النور في فسحة افريمون، اول هل لك ان تدخل الى هيكل عاديمون[5]، حتى ترى الافلاك التي يحيكها افلاطون ؟ او هل ان لا ترقد من اول ليلية القدر حتى ترى المعراج في حين الفرج، حيث

---

(1) الرسائل / ج 4 : ص 180 .

(2) محمود , زكي نجيب / المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري , دار الشروق , بيروت , ط2 , 1978 : ص 179 .

(3) أهرمن : يمثل الظلمة والشر في الفكر الزرادشتي (النور , جبور عبد / اخوان الصفا : ص 16) .

(4) اليزدان : اله النور والخير , وتقوم الفلسفة الزرادشتية على النور والظلمة , وهما في هذا العالم القوتان المتحاربات ويصيراً كذلك حتى ينتصر النور والخير وتقهر الظلمة والشر (م . ن) .

(5) عاديمون: يزعم العرب انه معلم ادريس(عليه السلام) , ويذهبون الى ان ادريس هو هرمس اله الحكمة عند الاغريق(م.ن) .

احمد المبعوث في مقامه المحمود[1]، وبذلك تتكون في مدينتهم الروحانية من رفيق واحد متجانس، آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم اجمعين) ويزدان وافلاطون كلهم في اعينهم مصدر للهداية على حد سواء[2]، فكانت هذه النزعة التوفيقة بين المذاهب والفرق ليس بقصد ابطال الشرائع وانما جمع مختلف الطوائف والفرق تحت لواء واحد بغية تحقيق هدفهم السياسي والاجتماعي من اجل الوصول الى الغاية التي ينشدونها في بناء مجتمع فاضل بالصورة التي يتخيلونها[3].

وقد اعلنوا ذلك في رسائلهم بقولهم:((وبالجملة ينبغي لإخواننا ايدهم الله تعالى لا يعادوا علماً من العلوم او يهجروا كتاباً كتاب ولا يعتصبوا على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستفرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جمعياً)) (4).

وان هذه النظرية لدى اخوان الصفا في الجمع بين المذاهب في مذهب واحد، هي محاولة منهم لإعادة الوحدة الى الاسلام بعد الخلاف والشقاق وتعدد الفرق والاحزاب، فعملوا على الجميع بين المسلم والنصراني والمجوسي واليهودي والافلاطوني والمشائي والفيثاغوري وتوجيه الجميع الى غايه واحدة هي الحقيقة المطلقة[5].

وان اراء اخوان الصفا في هذا المجال تمثل النزعة الظاهرة لفكرهم، فالدين عندهم هو دين الاسلام[6].، الذين يقولون عليه : ((خير دين، ان به المتألهون وافضل طريق الى الله يقصده القاصدون، وهو القدوة نبينا بدين محمد (صل الله عليه وسله

---

(1) الرسائل / ج 4 : ص 18-19 , الرسالة الجامعة : ص516-517 .

(2) محمود , زكي نجيب / المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري : ص 182

(3) الفاخوري , حنا خليل الجر / تاريخ الفلسفة العربية : ص 166.

(4) الرسائل / ج 4: ص 41 , ص 176 , الرسالة الجامعة : ص 540-541 .

(5) النور , جبور عبد / اخوان الصفا : ص 17.

(6) الرسائل / ج 3 : ص 525 .

) ويعلم كتابه الذي جاء به مهيمناً على كتب الاولين، وبسنة الشريعة التي هي اعدل سنة سنها المرسلون)) [1].

وهكذا كان الاسلام افضل الاديان والمسلمون افضل الامم[2]، و ادق من ذلك كانوا يعبرون عن الفكر الشيعي بصورة رمزية وذلك من خلال قولهم:((ان لكل نفس من المؤمنين ابوين في عالم الارواح، كما ان لأجسادهم ابوين في عالم الاجساد ويستشهدون بقول النبي محمد (صل الله عليه وسلم) مخاطباً الامام علي(عليه السلام) عندما قال:((انا وانت يا علي ابوا هذه الامة)) [3].

كما خصص اخوان الصفا فصلاً في رسائلهم جعلواً عنوانه مخاطبة المتشيعين ذكروا فيه ضرورة الموالاة لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) باعتباره وصي النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) قالوا: ((ومما يجعلنا ايها الاخ البار الرحيم محبة نبينا عليه الصلاة والسلام واهل بيته الطاهرين و ولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم اجمعين)) [4].

كذلك اشار اخوان الصفا الى وصية النبي محمد(صل الله عليه واله وسلم) الى الامام علي ابن ابي طالب(عليه السلام) عند غدير خم، والذي اعتبر فيما بعيد عيداً بما يسمى عيد الغدير، حيث اشاروا الى عقد الراية للإمام علي كدليل على استخلاف النبي له فقالوا : ((واعلم ايها الاخ ايدك الله واينا بروح منه ان اللواء الذي يعقد النبي للإمام صلوات الله عليهم يمون بعلم هو اعلى من هذا و اوضح وذلك انه عقد بقصد التأييد وموافقة التسديد، ولا يعقده النبي الامام الا لمن يكون منه بالمنزلة التي يستحقا بها ميراث ذلك العلم مثل عقد رسول الله (صل الله عليه وسلم) الراية، قال لأصحابه:((لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله،

---

(1) الرسائل / ج 4 : ص 195 .

(2) م.ن : ص 117 , الجبوري , د. نظله احمد /الفلسفة الاسلامية : ص 359.

(3) الرسائل / ج 1 : ص 213 .

(4) الرسائل / ج 4 : ص 195 .

كرار غير فرار لا يرجع حتى يكون النصر على يديه)) [1]. وفي القسم الرابع من مجموعة الرسائل العامة يذكرون فيها اسماء بعض الائمة ويحتجون بكلام الحسين بن علي (عليه السلام) [2]، كما اشاروا الى استشهاده بقولهم: ((ومما يدل على ان اهل البيت نبينا عليهم السلام، سلموا اجسادهم الى القتل يوم كربلاء ولم يرضوا ان يتولوا على حكم يزيد و زياد، وصبروا ع العطش والطعن والضرب، حتى فارقت نفوسهم اجسادهم، ورفعت الى ملكوت السماء، ولقوا اباءهم الطاهرين محمداً و علياً والمهاجرين والانصار)) [3]. و قد اشار اخوان الصفا الى تشيهم بقولهم:((من الناس طائفة ينسبون الينا بأجسادهم، وهم براء بنفوسهم منا، ويسمون انفسهم العلوية وما هم من العلويين، ولكنهم اسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الى نسبة الاجساد)) [4]. ولكنهم ينكرون فكرة المهدي المنتظر وهي اساس من اسس الشيعة وقد عدوا ذلك من الآراء الفاسدة ممن يعتقد ان امامه مختف لا يظهر من خوف الظالمين [5].

وظائف الدين:

ان للدين وظائف مهمة بالنسبة للفرد والمجتمع، فالدين يعطي الفرد الشعور بالضمان والاستقرار وذلك بتحديد هويته وانتمائه للجماعة وقبولهم للقيم والمعتقدات التي تضمنها الدين حول الطبيعة البشرية، كما يعطيه الاطمئنان عن طريق مشاركته في العبادات والشعائر الدينية والطقوس مع الجماعة والتي تعد عاملاً اساساً للتماسك الاجتماعي بين الافراد وبالتالي يساهم في الحفاظ على وحدة المجتمع وبقائه واستقراره وتماسكه.

---

(1) الرسائل / ج 4 : ص 383 .

(2) الرسائل / ج 3 : ص 537 .

(3) الرسائل / ج 4 : ص 33 .

(4) الرسائل / ج 4 : ص 147 .

(5) الرسائل / ج 3 : ص 27 , 523 , 524.

وقد نظر اخوان الصفا الى العبادات والشعائر الدينية على انها سبب اجتماعي من اجل كسب الصداقة فيما بينهم، اذا ن الصداقة اسس الاخوة، والاخوة اسس المحبة، والمحبة اسس اصلاح الامور، واصلاح الامور صلاح العباد، وصلاح البلاد بقاء العالم وبقاء النسل(1). ولهذا امرت الشريعة ان يجتمع الناس في السنة مرتين الى موضع مخصوص، وفي كل اسبوع مرة الى مواضع مخصوصة، وكل يوم خمس مرات في مساجد المحال والسوق يحصل الغرض المطلوب [2].

فالصلاة مثلاً، عبارة عن طهارة القلوب من خبث الحقد ونجاسة الشك والتقرب الى الله تعالى يخلص النية وصحة الاعتقاد، والتوجه الى قبلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، و القيام بمصالح المؤمنين، والقعود عن العداوة والبغضاء، والركوع والسجود والتواضع، والحلم والتشهد مع الاخوان الابرار والتسليم من الجهل واذا حصلت هذه الافعال المخصوصة تسمى صلاة[3]. وبذلك تكون الشعائر والعبادات هي مادى إيجابية في التنظيم الاجتماعي ولعل هذه الحقيقة تنسجم مع ما جاء به العالمين دور كهايم و راد كليف بروان، اللذان اعتبروا الوظيفة الاساسية للدين محصورة في تنظيم وادامه وتبادل العواطف التي يعتمد عليها بقاء المجتمع[4]. وهذا ما اكد عليه ايضا ابن خلدون الذي اعتقد بأن المعتقدات الدينية تعمل على جمع القلوب وتأليفها متى تم ذلك يذهب التنافس ويقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد وتحقيق الوحدة الكبرى التي يسعى الدين دوما الى تحقيها، ومن جهة يعمل الدين على اقامة مجتمع افضل[5]. ومن ذلك يكون للطقوس دور في خلق التضامن الاجتماعي والعمل على خلق الاحساس

---

(1) الرسائل / ج 2 : ص 328 .

(2) م.ن

(3) م.ن .

(4) النوري , د. قيس / طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجيا الاجتماعية : ج2 , مطبعة اسعد , بغداد , 1970 : ص 248-249

(5) الجابري , د. محمد عابد / الدولة والعصبية في فكر ابن خلدون , ص 286-287.

والشعور بالأمن والاستقرار النفسي لدى الافراد حيث يرى اخوان الصفا ان الدين هو سبب سعادة الانسان تتخلص في ذلك، كما وصى موسى (عليه السلام) نبي اسرائيل بانهم اذا تبعوه كانوا من السعداء، وكذلك طالبهم بحفظ شرائع التوراة، وبذلك يسمع الله دعائهم ويخصب بلادهم[1]. والدين ايضا يعمل على ترقيه النفس حيث كلما تمكن الانسان فهم رموز الدين ارتفعت نفسه اكثر من ذي قبل:((فاجتهد يا اخي في معرفة هذه المرامي والرموز التي ظهرت كتب الانبياء عليه السلام، لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقده الجهالة، وتحيا بروح المعارف الربانية)) [2].

وبذلك لا يرى اخوان الصفا طريقاً للسعادة والاستقرار النفسي في الدنيا والاخرى الا بالعلم والعبادة وذلك يقولون:((واعلم ان الله تعالى جعل الدين طريقاً من الدنيا الى الاخرة وجعل في قوام الدين صلاحاً للدنيا والاخرة جميعاً وذلك ان الدين له ظاهر وباطن وقوامه بهما جميعاً)) [3].

ويذكر اخوان الصفا على ان الدين هو الاصل في صلاح الدنيا والاخرة، وانه متى ترك القيام بواجباته انفسد الدين والدنيا جميعاً وبطلت الحكمة [4]. اما بالنسبة لأهمية الدين للدولة واثره في خلص التضامن والتماسك وقيادته نحو الافضل و اورد اخوان الصفا نصوصاً بشان العلاقة الوثيقة بين الدولة والدين والتي جعلوا فيها الدين هو الاصل في هذه العلاقة. وبهذا يكون التوجيه الديني عند اخوان الصفا نابعاً اساسا من تعاليم الدين الاسلامي من خلال تأكيده على سعادى الفرد واستقراره وتضامنه مع الاخرين في حياة الدنيا والعمل لحياة اخرى والتي هي

---

(1) الرسائل / ج 1 : ص 156 .

(2) م.ن

(3) الرسائل / ج 3 : ص 492 .

(4) الرسائل / ج 1 : ص 292 , الرسائل : ج3 : ص 491 .

الاساس في نظر الدين الاسلامي وقد اشار اخوان الصفا في هذه الصدد الى ذكر آيات من القران الكريم واقوال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) [1].

النظام التربوي:

تتضمن التربية كل عملية تؤدي الى استمرار المجتمع وذلك من خلال نقل التراث من جيل الى جيل، فهي عملة وجدث بوجود الانسان وقيامه بعملية التنشئة الاجتماعية ففي كل المجتمعات تقوم التربية بإيصال المعلومات والمعارف والقيم الى الافراد ليكونوا اعضاء صالحين في المجتمع، فهدفها الاعداء للحياة من كل جوانبها وتدريب الفرد على التعاون والتكيف والتعامل الشامل مع افراد المجتمع الاخرين [2].

وان الفلسفة التربوية تختلف من مجتمع لأخر وذلك من حيث اهدافها و وسائلها وصورها، ففي كل مجتمع فلسفة تربوية خاصه تعمل الى تحقيق اهداف ذلك المجتمع وخاصة اهدافه السياسية ولذلك نجد ان اخوان الصفا وضعوا فلسفتهم التربوية الى الجانب السياسي حيث عدّوا التربية جزءاً لا يتجزأ من بنائهم الفلسفي، لانهم عرفوا الفلسفة على ان اولها محبة العلوم واوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية، واخرها القول والعمل بما يوافق العلم[3]. فكانت محتوى رسائلهم كمدخل ومقدمات للعلوم التي يعرفونها ((لكي يسهل الطريق على المتعلمين الى طلب الحكمة التي تسمى فلسفة ويقرب تناولها للمبتدئين)) (4). وكان هذا احد اهدافهم الاساسية التي جاءوا بها وعملوا على تحقيقها قدر الامكان، لكن حسب رأيهم بان تعلم الفلسفة وحدة لا يكفي لتحقيق اهدافهم بل لا بد من الجمع بين الايمان والعلم او الفلسفة والدين [5].لان الايمان يورث العلم، وهو

---

(1) الرسائل / ج 3 : ص 497-498 .

(2) العاني , د. عبد اللطيف , واخرون / المدخل الى علم الاجتماع : 229 .

(3) الرسائل / ج 1 : ص 48 .

(4) م.ن

(5) الرسائل / ج 4 : ص 64-65 .

متقدم في الوجود على العلم، لذلك هاجموا الذين تأثروا يكتب العلماء والفلاسفة دون الكتب المنزلة[1]. وهذه محاولة لمزح الدين بالفلسفة فاخرجوا رسائلهم الحاوية على علومهم والتي فيها صلاح حال الانسان في الدين والدنيا والتي دعوا الافراد الى التعاون فيما بينهم من اجل تعليمهم اياها العلوم المذكورة في الرسائل الاثنتين والخمسين[2]. واذا تعلمت النفس هذه العلوم يتاح لها الاستيقاظ من نوم الغفلة ورقد الجهالة، فتسعى للتخلص من الامراض التي تعوق صعودها الى ملكوت السماء[3].

وذلك اكثر ما اكد اخوان الصفا عليه دائماً في رسائلهم توجيه الدعوة الى جماعتهم للأقبال على العلم والعناية بطلبه وتعلمه وربطه بالجانب الديني لان غايه التربية عندهم نابعة من التربية الاسلامية بصفة عامة، والسائدة خلال فتره اخوان الصفا فكان اهم ما يشغلهم هو اعداد الناس للحياة الباقية (الاخرة)، اذا قالوا : ((اعلم يا اخي بان كل علم وادب لا يؤدي بصاحبه الى طلب الاخرة ولا يعينه على الوصول اليها فهو وبال على صاحبه ولا حجة عليه يوم القيامة)) [4]. مضافاً الى ذلك اعترفوا بان للتربية فوائد اجتماعية مادية وخلقية يحصل عليها الفرد في حياته اليومية : ((وان العلم يكسب صاحبه الشرف وان كان دنيئاً والعز وان كان مهيناً والغنى وان كان فقيراً والقوة وان كان ضعيفاً، والنبل وان كان حقيراً، والقرب وان كان بعيداً، والقدر وان كان ناقصاً، والجود وان كان بخيلاً، والحياء وان كان صلفاً، المهابة وان كان وضيعاً، والسلامة وان كان سقيماً)) [5]. وذلك يؤكد اخوان الصفا دائماً على ان يتحلى الفرد بصفاء

---

(1) الرسائل / ج 4 : ص 180-181 , الرسائل / ج3 : ص 293 .

(2) الرسائل / ج 4 : ص 250 .

(3) الرسائل / ج 1 :ص 261- 262 , 399 .

(4) الرسائل / ج 1 : ص : 349.

(5) م .ن: ص : 348.

النفس وكرم الاخلاق في علاقاته مع الاخرين وكذلك عمل الخير لذاته وليس من اجل منفعة ومكافاة الاخرين .

فيقولون:((الوصول الى مرتبة التسامي وتقارب مرتبة الملائكة وذلك بالتحلي بالأخلاق الحميدة وتعلم العلوم الحقيقة واعتقاد الآراء الصحيحة عندئذ يصبح صالحاً فاضلاً وتصير نفسه ملكاً بالقوة فاذا فارقت الجسد عند الموت اصبحت ملكاً بالفعل)) [1]. فقد كانت التربية عندهم هي عملية توجيه وتهذيب مقصودة لتهذيب واصلاح ما افسد من خلق الانسان [2]. ويكون هذا بقهر الانسان لطبيعته الشهوانية او الغضبية لتصير كل منها على حد الاعتدال[3]. وبهذا يمكن تطهير نفس الانسان وتصفيتها مما لحق بها للتمكن من الوصول الى اقصى مما يطمحون اليه الا وهي مرتبة الملكية ويظهر في قولهم : ((لا يمكن احداً من الناس، لا يليق به ولا يثق ان يصعد الى ملكوت السموات وسعة الافلاك والدخول في زمرة الملائكة الا بعد نهاية شديدة في تهذيب نفسه واصلاح اخلاقه وصحة اعتقاده وحقيقه معلوماته)) [4]. ويكون تهذيب النفس وتحقيق الكمال الذي يرغب فيه اخوان الصفا فيعاون افرادهم بعضهم بعضاً والتي يتعلم في اطارها الفرد العلم الفلسفية الموجودة عندهم وهي العلوم المذكورة في كتب الفلاسفة التي اقروها، كما يؤدي التزامهم بالجماعة لتجنب الاخلاق المذمومة[5]. ثم الالتزام بالأوامر والنواهي التي جاء بها الانبياء والتي جمع اخوان الصفا بينها وبين اراء الفلاسفة[6]. وبذلك تكون التربية عندهم خاصة قائمة على مجموعة من المبادئ والآراء والقيم والعلوم، ومجالها الصفوة المختارة، فالتربية اذن حسب مفهومهم

---

(1) الرسالة الجامعة : ص 62.

(2) الرسائل / ج1 : ص 297.

(3) الرسائل / ج4 : ص 308.

(4) الرسائل / ج1 : ص 335.

(5) الرسائل / ج3 : ص 217.

(6) الرسائل / ج1 : ص 337 , ج4 : ص 41.

ليست عامة وشاملة لجميع افراد المجتمع فقد عني اخوان الصفا في بداية الامر بكيفية قيادة الشباب وتوجيههم لانهم اكثر فئات المجتمع حماساً للتغيير السياسي والاجتماعي، فهم اساس كل ما تقدم، وقد تضمنت الرسالة الخامسة والاربعون من رسائلهم شيئاً من ذلك :

((واعلم ان مثل افكار النفوس قبل ان يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل ورق ابيض نقي لم يكتب فيه شيء، فاذا كتب فيه شيئاً حقاً كان باطلاً فقد شغل المكان ومنح ان يكتب فيه اخير صعب حكه ومحوه)) [1].

فيبغي لك ايها الاخ ان لا تشغل بإصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا أراء فاسدة وعادات رديئة واخلاقاً وحشة، فانهم يتعبونك ثم لا ينصلحون وان صلحواً قليلاً فلاً يفلحون)) [2]. ولكن الشباب سالمي الصدور الرغبين في الآداب، المبتدئين بالنظر في العلوم، المريدين عن طريق الحق والدار الاخرة، والمؤمنين بيوم الحساب المستعملين شرائع الانبياء عليهم الصلاة والسلام الباحثين عن اسرار كتبهم التاركين الهوى والجدل غير المتعصبين على المذاهب(3). وقد اشار الى هذا الاتجاه فيما بعد جون لوك الذي اكد على تجربة الطفولة وطرق التربية والتي تعد من ابرز العوامل النفسية والاجتماعية في تكوين شخصية الطفل ويشبه الطفل بالحجر الابيض يطبع عليه كل ما يفعله [4]. وقد قال العرب منذ زمن قديم قولاً مماثلاً (التعلم في الصغر كالنقش على الحجر)، وقد تبين من ذلك ان

---

(1) الرسائل / ج4 : ص 51 , وبذلك يكون اخوان الصفا تبعاً لهذا المنهج ضمن الفلاسفة التجريبيون او الحسيون الذين يرون العقل قبل التجربة صفحة بيضاء خالية من العلم , وان كان مصدره التجربة والعلم المحسوس , وبذلك تكون المعرفة عندهم مكتسبة وليست فطرية واصل المعرفة هي الحواس والمعقولات التي هي في اوائل العقول ليست شيئاً سوى رسوم المحسوسات الجزئية الملتقطة بطريق الحواس والدليل على ذلك قوله تعالى : ((والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً)) القران الكريم : سورة النحل /اية 16 , (انظر : الرسائل / ج3 : ص 423)

(2) الرسائل / ج4 : ص 52.

(3) م.ن .

(4) العظماوي , د. ابراهيم كاظم / معالم من سايكولوجية الطفولة والفتوة والشباب : ص 17.

اخوان الصفا باعتبارهم جماعة عقائدية وجهوا عنايتهم الى الشباب ليتعلموا لانهم كالورق الابيض النقي الذي لم يكتب فيه شيء بعد، ثم اكدوا على المعلم بالنسبة للشباب واشترطوا له شروطا خاصة اهمها محبة العلم وعدم التعصب وحسن الخلق اذ قالوا : (واعلم ايها الاخ ان من سعادتك ايضا ان يتفق لك معلم جيد الطبع حسن الخلق، صافي الذهن محب العلم، طالب لحق غير متعصب لرأي من المذاهب) [1].

فيمثل الشباب الركيزة الاولى في جماعة اخوان الفا، ولو ان التربية عندهم لا تتم دفعة واحدة، بل على تدرج، وهذا التدرج خاضع لمراحل نمو الانسان ما يرد في كل مرحلة من قوى تجعله قادرا على تجمل وتقبل علوم بعينها وتساعد بالتالي على ظهور صفات تمكنه من الوصول الى مرتبة ثانية التي هو فيها من مراتب جماعة الاخوان، كما انها عملية مستمرة فنها تبدأ منذ الولادة الطفل، فاذا خرج الطفل من الرحم فباستطاعته حواسه منذ تلك الساعة ان تدرك محسوساتها، فيحس بالقوة الباهرة النور، وبالقوة السامعة، وبالقوة اللامسة الخشونه واللين .....الخ وهكذا يزداد فهمه بمعرفته بالتدرج مادام هو في في النمو والزيادة، حتى يصل الى سني التربية، حيث اكمال التربية واشتداد القوة وحصول الفهم والذهن والتميز والتفكير(2). ، كذلك اكد اخوان الصفا على الثامنه منعمره والتي يظهر فيها الرغبة فبي التزوج والنكاح، وطلب الشهوات والتمتع باللذات ومحبة الزينه والحسن والجمال، والحرص على جمع الاموال، والمباهات والمفاخرة معى الاتراب والاقران باتخاذ الجواري والغلمان الى مدة ما [3]. وهذه صفات مرحلة المراهقة التي يمر بها الانسان، والتي اكد عليها فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي في علم النفس .

---

(1) الرسائل / ج4 : ص 51.

(2) الرسائل / ج3 ,ص 414 – 415.

(3) الرسائل / ج 2 ,447.

ثم يقسمون عمر الانسان بعد خمسة عشر سنة من عمره الى اربعة مراتب، وكل مرتبة سابقة على الاخرى، فيتدرج في هذه المراتب كلها حتى يصل الى اعلاها، الى ان يصل الى الخمسين من ةعمره، وهو ذلك العمل الذي ترد فيه القوة الملكية على النفس وهي القوة الممهدة للمعاد ومفارقة لحياة الدينا وعالم الاجساد والصعود الى ملكوت السماء ومجاورة الرحمن (1). وان لكل مرحلة من ةهذه المراحل اسلوبها الخاص، من أجل تحقيق الغرض المقصود للجماعة، واذا كانت التربية خاصة عندهم، الا انها ايا مسؤولية قاموا بها وعهدوا علومهم من اجل ان يتزايد عدد افرادهم فيزداد نعيمهم وسعادتهم في الاخرة .، ويؤكدون على هذا الاتجاه تبعا لما روى عن الرسول محمد (ص) (اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه) وكان من اعظم البدع ما اختلفه كثير من الجهال من زخرف الاقوال وقبيح الافعال وسيئات الاعمال والتكذيب بيوم المعاد، فعملو حمل مسؤولية هداية هؤلاء لكي يطهروا نفسوهم عملا بالدين واملا في الثواب وحسن الجزاء [2].

العوامل المؤثرة في التربية:

يتدرج اخوان الصفا في ذكر العوامل المؤثرة في تربية الانسان منذ بداية تكوين الجنيين حتى الرجولة، وبما ان الانسان عندهم مكون من جسد ونفس فقد خلق متوجها لان يصير بجسده رجلا جلدا، اما نفسه فهي التي خرجت ساذجة لا تعلم شيئا، كما قال تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) [3].

واتم حالاتها ان تخرج كل ما في قوتها من الفضائل الى الفعل وهو من يصير مؤمنا حقا عالما ربانيا حكيما فيلسوفا، وان خروج النفس ساذجة نقية يتطلب ان تسلم تأثيرات الفلكية شهرا بعد شهر وعلى مدى تسعة اشهر وهو في بطن امه، اذ يرون ان روحانيات الكواكب تطبع في النفس اخلاق معينه سموها بالأخلاق المركوزة

---

(1) ا الرسائل / ج 4 , ص 52.

(2) الرسالة الجامعة ص 295.

(3) القرآن الكريم / سورة النحل / اية 16.

(الفطرية) [1]. وتبعا لذلك يولد الفرد مزودا بأخلاق مفروضة لا يستطيع التخلص منها تبعا لمؤثرات النجوم، وبالرغم من ذلك فقد حاولوا التوفيق بين هذا الرأي وبين ما قالوا بان نفس الانسان تخرج نقية ساذجة لم تنقش عليها شيء فأنهم ذكروا عدة عوامل تدخل في تربية الانسان وهي ما يلي :

اولا : العوامل البيولوجية او ما يسمونها الاخلاط الاجساد ومزاج اخلاطها :

يعتقد اخوان الصفا ان الله ركب الجسد من اصول او اخلاط اربعة، وهي الحرارة والبرودة والماء والتراب وتتباين اخلاق الناس تبعا لنسبة امتزاج هذه الاخلاط، وقد وضحها اخوان الصفا [2] :

المحررو الطباع : الذين تغلب الحرارة على ابدانهم ويكونون غالبا شجعان القلوب، اسخياء النفوس، متهورين في الامور المخوفة، قليلي الثبات والتأني في الامور مستعجلي الحركة، شديدي الغضب، سريعي المراجعة، قليلي الحقد، اذكياء النفوس حادي الخواطر، جيدي التصور .

المبردون الطباع : الذين تغلب على ابدانهم البرودة غالبا ما يكون بليدي الذهن، غليضي الطباع، ثقيلي الارواح، وتكون اخلاقهم ناضجة .

المربطوبون الذين تغلب الرطوبة على ابدانهم : يكونون في اكثر الامر ذوي طباع بليدة، وقلة ثبات في الامور، ليني الجانب سمحاء النفوس، طيبي الاخلاق، سهلي القبول سريعي النسيان مع كثرة التهور في الامور الطبيعية .

اليابسي المزاج : وهم الذين تغلب على ابدانهم اليبوسة، ويكونون في اكثر الامور صابرين في الاعمال، ثابتي الرأي، عسري القبول، ويغلب عليهم الصبر والحقد والبخل والامساك والحفظ .

---

(1) الرسائل / ج1 ,ص 279 , الرسائل / ج 3 .ص 273.

(2) الرسائل / ج 1 , ص 299 .

كذلك اختلاف مواقع البلاد تبعا لما ذكروه يؤدي الى اختلاف امزجة الاخلاط المكونة للجسد واختلاف امزجة الاخلاط يؤدي الى اختلاف اخلاق اهلها وطباعهم والوانهم

ولغاتهم وعاداتهم وآرائهم واعمالهم وصنائعهم ويمتد ليشمل الوان الاجساد وشكل الانسان الخارجي مما لا يؤدي الى التمايز بين الاشخاص فقط بل ايضا الى ان تنفرد كل امة بأشياء لا تشبه فيها غيرها نظرا لاختلاف موقعها وما يترتب عليه [1] وايضا لا ينكرون اخوان الصفا اهمية الغرائز، وكدافع لسلوك الانسان في التربية، فهم سبقوا وليم مكدوجل صاحب نظرية الغرائز في علم النفس الاجتماعي والذي وصف الغريزة كاستعداد فطري يحمل الكائن الحي على الادراك او الانتباه لكل شيء من التأثير والانفعال وعلى العمل اخيرا، او الشعور بدافع العمل يأخذ شكل سلوك معين تجاه هذا الشيء، وبذلك تكون الغريزة حسب رأي مكدوجل بأنها المحرك الاول للسلوك [2]

العوامل المتعلقة بالبيئة الاجتماعية :

ان للبيئة الاجتماعية اثر كبير في التربية عند اخوان الصفا، فالعادات التي يحصل عليها الانسان من البيئته وميحطة تقوي الاخلاق المشاكلة لها، وان العادات الجارية المداومة فيها تقوي الاخلاق المشاكلة لها وذلك ان الطفل او الصبي اذا نشأ مع الشجعان او الفرسان وتربى معهم يطبع بأخلاقهم، واذا نشأ مع النساء والمخانيث والمعيوبين وتربى معهم يطبع بأخلاقهم، ومن ثم فأن الاطفال والصبيان منذ الصغر يتطبعون بأخلاق الاباء والامهات والاخوة او الاتراب والاصدقاء او المعلمين وجميع المخالطين لهم في حياتهم ويسرى هذا التطبع على حكم الاراء وامذاهب والديانات، كذلك يرى اخوان الصفا اهمية كبيرة لاثر المحاكاة والتقليد

(1) الرسائل / ج1 ,ص 179 – 303.

(2) فهمي .د. مصطفى . د. علي القطان .علم النفس الاجتماعي ,ص 57 – 58.

في تربية الاطفال حيث يحاكون ويقلدون اباءهم وامهاتهم واساتذتهم في كل تصرفاتهم حتى تصبح عادة عندهم [1] وذلك ان كل انسان يحاكي ويقلد من فوقه، فالصبيان يحاكون ويقلدون افعال آبائهم وامهاتهم والتلاميذ يحاكون ويقلدون افعال اساتذتهم، ويحاولون الاقتداء بهم والتشبه بأراءهم واقوالهم وافعالهم [2] ومن الملاحظ ان اثر التقليد والمحاكاة في التربية الاجتماعية للافراد التي اكد عليها اخوان الصفا قد تأثر بها ابن خلدون والذي يقول (القياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة) [3].

وان النفس ابدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه، اما لنظرة بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه او لما تغالط به، من ان اقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب، فاذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فانتحلت جمع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء او لما تراه، والله اعلم، من ان غلب الغالب لها ليس لها بعصبية ولا قوة يأس وانما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب[4].، ومن بين علماء الاجتماع الذين اكدوا ايضا على اهمية التقليد والمحاكاة جبرائيل تارد (1834 – 1904) الذي يرى بأن كل الظواهر الاجتماعية انما ترجع الى العلاقة بين شخصين يمارس احدهما تأثيرا عقليا على الاخر، بل ان المجتمع يأخذ في الظهور حينما يتجه الفرد نحو جعل سلوكه على نمط سلوك الاخرين (5). أي ان الاشخاص الذين يعيشون معا يحاكون بعضهم البعض ويتجه هذا الميل نحو الاقتداء الادنى بالأعلى وهذا ما اكد عليه اخوان الصفا حينما قالوا (ان المحاكاة تسري من الكبير الى الصغير، ومن العالم الى الجاهل، ولذلك كانت للخواص والعلماء تقليدا وقولا

---

(1) الرسائل / ج1 , ص 307.

(2) الرسائل / ج3 , ص 93.

(3) ابن خلدون / المقدمة ,ص 2.

(4) ابن خلدون / المقدمة , ص 101 – 102.

(5) تيماشيف . نيقولا , نظرية علم الاجتماع , ص 163

او كإقرار الصبيان للآباء والمعلمين تعليما وتلقينا) [1]. ويرى اخوان الصفا ايضا بأن لظاهرة التقليد اثرها كذلك في وراثة الوظيفة والمهنة من الاباء الى الابناء، حيث ينجح الافراد في حياتهم العملية اذا عملوا في الصناعات التي يعمل فيها آبائهم واجدادهم اكثر من صناعة الغرباء عنهم على سبيل المثال [2]. وتبعا لتلك الآراء يمكن القول ان اخوان الصفا النزعة في التربية والتعليم، فالنفس بعد الولادة كاللوح المصقول والورقة البيضاء الخالية ثم يثبت فيها بعد الولادة بعوامل التقليد والتلقين والتفكير .

وظائف التربية :

ان وظيفة التربية الاسلامية وظيفة دينية، وهي معرفة الدين علما وعملا، فكان اخوان الصفا ينظرون الى الحياة على انها وسيلة للآخرة، فهم يؤكدون على نظرتهم الدينية ويحثون الافراد على العمل في جميع اوقاتهم واعمالهم من اجل الدين وباسم الدين فكانت من بين وظائف الدين عندهم هي :

معرفة الله وتوحيده : يرى اخوان الصفا ان العلم بصفات الله ووحدانيته واوصافه اللائقة، انه لب الالباب، واليه ندب ذوو العقول الراجحة والحكمة الفلسفية، وهو أخر مرتبة ينتهي اليها الانسان في المعارف [3]. ومن ثم فهم يؤكدون ان اكثر اغراضنا فيما وضعنا من رسائلنا كلها في توحيد الله عز اسمه، وتنزيهه عما نسبه اليه الجاهلون عن معرفة الله وتوحيده وعبادته لاتتم الا بعد احاطة الانسان بالعلوم والمعارف على حسب طاقته (4). وبذلك (كل علم وادب لا يؤدي صاحبه الى طلب الاخرة ولا يعنيه على الوصول اليها، فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة) [5].

---

(1) الرسائل / ج 3 , ص 453

(2) الرسائل / ج 1 , ص 291.

(3) الرسائل / ج 3 ص 302.

(4) الرسائل / ج 4 ص 192.

(5) الرسائل / ج 1 , ص 349.

معرفة النفس وتهذيبها : لقد جعل اخوان الصفا معرفة النفس وتهذيبها وظيفة من وظائف التربية، ولها علاقة بمعرفة اله وتوحيده ، لان معرفة حقيقة النفس تحمل على الايمان بالبعث في الاخرة وبالثواب والعقاب، ومن يؤمن بهذا يتوخى العمل الصالح والاعتقاد السليم والسيرة الحسنة في الدنيا املا في النجاة منها والخلود في ملكوت السماء اذ يرون (ان الانسان اذا عرف نفسه المدبرة لجسده التي بها قوام ذاته وتتميم صورته، واستواء خلقته، عرف ربه الذي استخلفه واشهده عالمه وجعله شاهدا على نفسه بقوله تعالى (واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) [1].

فمن عرف نفسه حق معرفتها، اجاب النداء وسمع الدعاء، واقر الله بالوحدانية وامكنه الوصول اليه، والزلفى لديه فائزا بنعيم الابد والدوام السرمد[2]. كذلك قالو ان من عرف نفسه فقد عرف ربه، ووحده، حق توحيده، كما قال الرسول محمد (ص) اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه، ومن جهل نفسه فهو بربه اجهل عن طريق الحق اعدل والى صراط الباطل اميل [3]. ، وبذلك تكون معرفة هي الطريق المؤدي الى معرفة الله، غير ان هذا لا يتحقق بصورة سريعة ومباشرة بل لا بد من ان تتهذب بنفسه اولا وتنبه من نوم الغفلة ورقد الجهالة ولا يكون هذا الا بالمعرفة والعلم معا[4]. فمن (لا علم عنده، لا عباده له ولا رب له، اذ لو كانم له رب يعرفه لعبده ووحده) [5]. ولكي يقبل عمل الانسان لا بد من ان تكون نفسه مهذبة ومكتسبة بالعلوم والمعارف لان اخوان الصفا يؤكدون على ان من بين اسباب اخراج رسائلهم هو تهذيب النفوس، اذ يقولون (انا بسطنا هذه الرسالة –

(1) الرسائل / ج 4 , ص 217.
(2) الرسالة الجامعة / ,ص 226.
(3) المصدر نفسه ,ص 300.
(4) الرسائل / ج 4 , ص 217.
(5) الرسالة الجامعة , ص 281

أي الجامعة –وضمناها معاني العلوم واسرار الحكم وتهذيب انفس الراغبين فيها المستجيبين اليها ليدركوا الاشياء بحقائقها، فتنتبه نفوسهم من نزم الغفلة [1]. .

(1) المصدر نفسه , ص 327.